الإمام الهادي عليه السلام

صورة موجزة

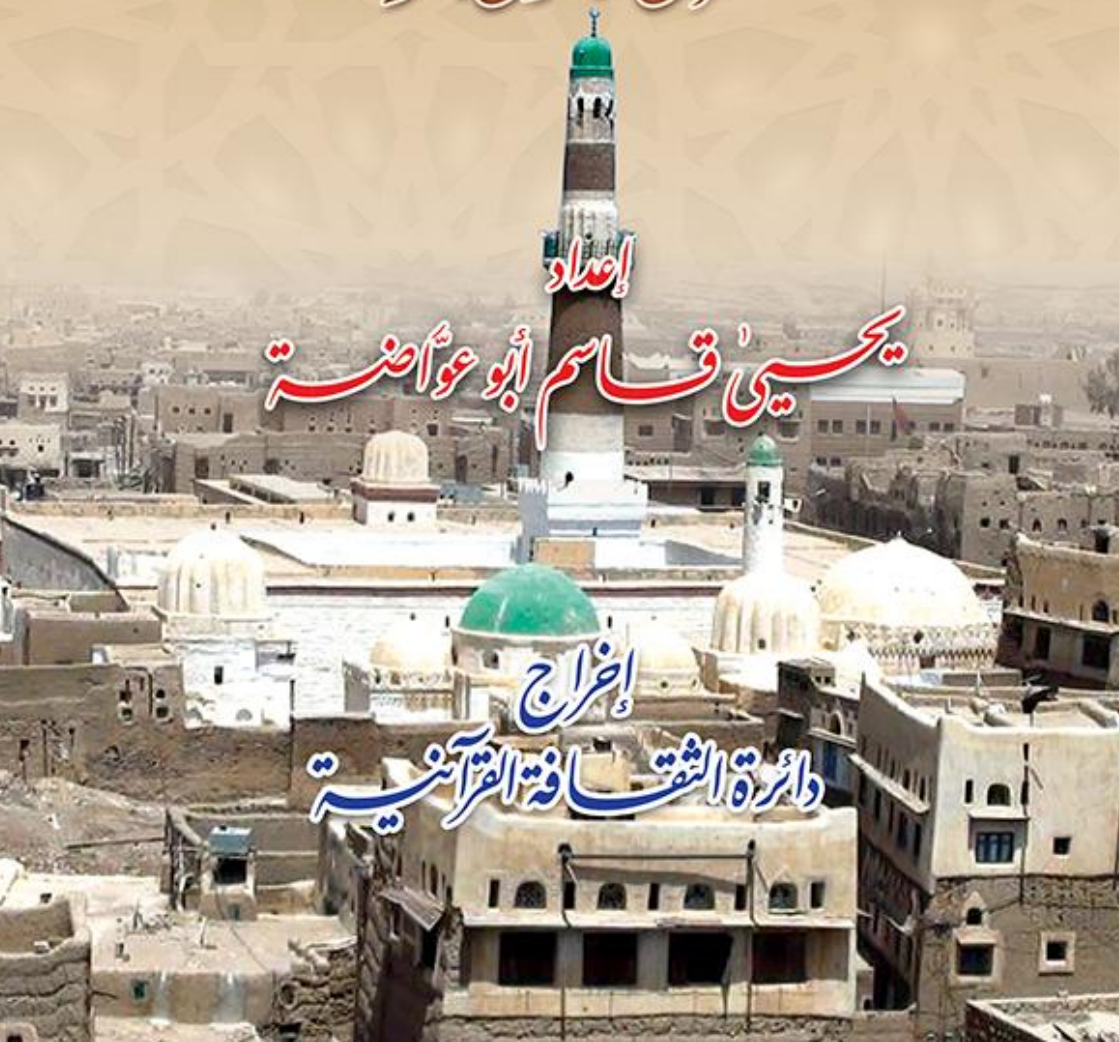

إعداد

يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج

دائرة الثقافة القرآنية

الإمام الهادي عليه السلام

صورة موجزة

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الثانية
١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطاهرين ورضي الله عن أصحابه الأخيار المنتجبين. وبعد

فإن شخصيةً كشخصية الإمام الهادي ‹عليه السلام› لها التأثير الكبير ليس على مستوى الشعب اليمني فحسب وإنما على مستوى العالم الإسلامي، قد يجد الإنسان صعوبة في الحديث عنها في مثل هذا الكتيب المختصر، وخاصة إذا كانت حياته مليئة بالجهاد والتضحية - وهو بعد لم يبلغ الحلم - بالكلمة تارةً وبالسيف والقتال تارةً أخرى ؛ حتى ختم حياته بالشهادة في سبيل الله سائراً على نهج آبائه الطاهرين.

إنه شخصية جديرة بأن يكتب عنها كل من لديه القدرة على ذلك وخاصة من اليمنيين لما له من أياد بيضاء على شعبنا اليمني والتي منها: إقامة الحق والعدل في ربوع اليمن، وإصلاح فاسدهم، ورد شاردهم، وإصلاح ذات بينهم، ورفع محن البلوى عنهم بعد أن كانت قد أرهقتهم بلية الفرقة وأنهكتهم محنة الشحناء والشتات والتباغض والتنافر، وبعد أن عصفت بهم فتنة القرامطة وزعيمهم (علي بن الفضل) الذي ادعى النبوة، وأحل الحرام، وسفك الدماء، وقطع الأرحام، وحول اليمن إلى أهواء منتشرة وطوائف متشتتة، ومعتقدات فاسدة؛ فكان الإمام الهادي ‹عليه السلام› لليمنيين: القائد والقدوة والمنقذ.

إننا بأمس الحاجة لمعرفة مثل هذا الرجل العظيم وسيرته المباركة وما تحقق على يديه لشعبنا العظيم:

أولاً: حتى لا نكون من الجاحدين لنعم الله علينا وخصوصاً أن هناك من يسعى من حملة الموروث الأموي الجاهلي وعلى رأسهم الوهابيون

والنواصب؛ إلى المساس بعظمة هذه الشخصية والتصغير من قدرها بدافع العصبية أو الجهل أو النصب أو الحسد أو غير ذلك، والتضليل على العامة - مستغلين جهلهم - بما لهذه الشخصية من فضل على الإسلام والمسلمين، وخاصة على اليمن الميمون.

ثانياً: ليكون مثل هذا الرجل العظيم القدوة لنا والأسوة في صراعنا مع الباطل والضلال ومواجهتنا للجاهلية الأخرى.

والله ولي الهداية والتوفيق.

يحيى قاسم أحمد أبو عواضة

١صفر ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧/١٠/٢١م

●●●

علاقة أهل اليمن بأهل بيت النبوة

شعبنا اليمني العظيم الذي له خصوصية في علاقته الحميمية بأهل البيت بدءاً بالإمام علي‹عليه السلام› الذي اختاره الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله وسلم› ليكون مبعوثه إلى اليمن لدعوة أهل اليمن إلى الإسلام كمهمة خاصة - اختار النبي فيها تلميذه العظيم والمتميّز، وجندي الإسلام العظيم، هذا الرجل العظيم الإمام علي‹عليه السلام› ليكون هو بالتحديد - كمهمة استثنائية - مبعوثه إلى اليمن إعزازاً لأهل اليمن، وأملاً في أهل اليمن، وإكراماً لأهل اليمن، وأملاً عظيماً في أهل اليمن، أن يكون لهم دورٌ متميزٌ وعظيمٌ في نصرة الإسلام، وإعلاء قِيَم الإسلام، والتمسُّك بالإسلام.

وقد شكل خروج الإمام الهادي ‹عليه السلام› إلى اليمن، وما حصل على يديه من إصلاح لمشاكلهم وأحوالهم، وبجهوده التي بلّغها فيهم، وبما كان عليه هو ‹عليه السلام› من مؤهلات إيمانية، وأخلاقية، ومعرفية مؤثرة جسّد فيها قِيَم الإسلام على أرقى مستوى، فرأى اليمنيون آنذاك في الإمام الهادي ‹عليه السلام› - في أخلاقه، في قِيَمه، في قدرته على التبليغ للرسالة الإلهية وهو يدعو إليها - قِيَم الإسلام، وأخلاق الإسلام، ومبادئ الإسلام.

ورأوا فيه أيضاً وسمعوا منه معارف الإسلام نقيَّة أصيلة ، فكان أن عظُم ارتباطهم بالإسلام، وبالنبي، وبالقرآن، وبأهل البيت ‹عليه السلام› وبقي هذا الارتباط الوثيق والصادق بالإسلام رسالة ومنهجاً ونبيّاً وبأعلام الهدى من أهل بيته، بقي ثابتاً وأصيلاً تتوارثه الأجيال في بلدنا اليمن جيلاً إثر جيل، لم تستطع أي عوامل، أو مؤثرات خارجية أو طارئة أن تُمحي من الوسط اليمني هذا الارتباط المبدئي، والفكري، والثقافي، والقِيَمي، والأخلاقي بالإسلام العظيم، وبرموزه العظماء، وبالنبي الخاتم محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله وسلم› بالرغم من المحاولات الحثيثة من قبل التيار الوهابي التكفيري لفصل اليمنيين عن أهل بيت رسول الله ‹عليه السلام› إلا أن

محاولاته فشلت أمام هذا الارتباط القوي والمتأصل؛ ولهذا كان لليمنيين دورٌ متميّز عبر التاريخ، وكان لهذا الارتباط المبدئي، والثقافي، والفكري، والوجداني أثراً عظيماً وطيباً في نفوس أهل اليمن في أخلاقهم في قِيَمهم ، في ثباتهم على المبادئ، وكان له أثره الكبير في وفائهم لهذه المبادئ ولهذه القِيَم عبر التاريخ إلى يومنا هذا.

حاجتنا إلى العودة إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

وفي مواجهة هذا الواقع السيء نحتاج إلى أن نعود من جديد إلى مدرسة الأنبياء إلى مدرسة العظماء والهداة من أهل بيت النبوة إلى مدرسة أعلام الحق والحرية، إلى مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وإلى كُلّ الأَحْرَار والشرفاء والمصلحين الذين أحيوا في الأمّة روح المسؤولية، علمونا أن نقف مهما كان حجم الظروف أن نقدم التضحيات مهما كانت، أن لا نقبل نهائياً بالاستسلام والاذعان، أن نتصدى للشر والمنكر والطغيان والظلم والجور حتى في أهمّ منابعه في السلطان الجائر في الدول المستكبرة.

اليوم قوى الطغيان مجتمعة في هذا الزمن قوى الطغيان والشر والظلم والجور من داخل أُمّتنا من المحسوبين على المسلمين تحت الراية الأمريكية تحت الراية الإسرائيلية عبيد وخدم وعملاء ومرتزقة ومنافقون يتَحَرّكون مجتمعين لتدمير المنطقة واستعباد الشعوب وقهرها وإذْلَالها، نرانا اليوم في حاجة إلى هذه المبادئ إلى هذه القيم القُرْآنية إلى هذه الروح وإلى هذه العزيمة إلى هذا الصبر إلى هذا المستوى العالي من الاستعداد للتضحية، إلى هذا الإباء إلى هذا الشموخ، إلى هذه القيم العظيمة، إلى هذا الإيْمَان، إلى هذا الوعي لنتَحَرّك به في مواجهة هذه التحديات والأخطار، ومن أهمّ الأخطار لا شك الخطر الإسرائيلي الأمريكي وأدواتهم والأحداث التي يشهدها بلدنا اليمن في أهمّ أسبابها ودوافعها وتحريكها، العدو الإسرائيلي الأمريكي.

الإمام الهادي ‹عليه السلام› قائداً وهادياً

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ‹عليه السلام› يعد من أبرز الشخصيات داخل أهل البيت ‹عليهم السلام› وله حضوره الفاعل في التاريخ الإسلامي وفي تاريخ اليمن على وجه الخصوص في كل المجالات، فهو واحد من عظماء أهل بيت النبوة الكاملين الذين أبرزوا عظمة الإسلام ومشروعه الحضاري وقدموا الإسلام ديناً ودولة.

لقد قدم الإمام الهادي ‹عليه السلام› الإسْلَام مشروع سمو، مشروع أَخْلَاق، مشروع كرامة، مشروع عدالة، وجسد مبادئه قولاً وعملاً وسلوكاً وأرسى دعائم الحق والعدل والقسط في ربوع اليمن حتى قال ‹عليه السلام› كلمته المشهورة: «**والله لئن أطعتموني لا فقدتم من رسول الله إلا شخصه إن شاء الله**» ولقد كان كما قال ‹عليه السلام›.

وقد حظي الإمام الهادي ‹عليه السلام› بمكانة كبيرة داخل الأوساط الإسلامية ولدى أهل البيت ‹عليهم السلام› وأشاد به كل من كان في عصره ومن جاء بعده من أعلام أهل البيت.

فقد قال عنه الإمام الناصر الأطروش الذي عاصره وأقام دولة إسلامية الجيل والديلم عند ذكره (ذاك والله من أئمة الهدى) ولما بلغه وفاة الإمام الهادي ‹عليه السلام› بكى بنحيب ونشيج وقال: (اليوم انهدَّ ركن الإسلام).

وقال عنه الإمام المؤيد بالله ‹عليه السلام›: (كنا نهاب نصوص يحيى كما نهاب نصوص القرآن) يعني في التأمل فيها والاستخراج منها.

الإمام الهادي ‹عليه السلام› رسم من خلال أقواله وأفعاله وتعامله وسياسته منهجية أهل البيت ‹عليهم السلام› بالتمام والكمال.

فكان خروجه وكان قيامُه وكانت حركتُه امتداداً كلياً لحركة وقيام أهل البيت ونهجهم الموصول بنهج جدهم رسول الله محمد ‹صلوات الله عليه وعلى

آله وسلم› امتداداً في الجوهر والمضمون، في الروح والهدف، امتداداً في الموقف، امتداداً في التوجه والدوافع.

وهي امتدادٌ لحركة الإسْلَام، حركة الإسْلَام في حقيقته في مبادئه في جوهره في قيمه في أَخْلَاقه، امتدادٌ لحركة الإيمان بالاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إنه عَلَم عظيم من أعلام الهدى، من رموز الإسْلَام، رجل عظيم حمل رايةَ الإسْلَام في الأُمَّة، ورفع صوت الحق في زمن السكوت، وتَحَرّك لإنقاذ اليمنيين عندما استنجدوا به - فلبى دعوتهم وعمل ليلاً ونهاراً في سبيل إنقاذهم من الضلال والظلمات والظلم والقهر والطغيان والتيه والاختلاف.

الإمام الهادي ‹عليه السلام› كان امتداداً لحمل المشروع الالهي

لقد كان الإمام الهادي ‹عليه السلام› امتداداً فعلياً لحمل المشروع الرسالي الإلهي الذي بلَّغه خاتم الأنبياء محمد ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله وسلم›، واصل الإمام الهادي ‹عليه السلام› حمل ذلك المشروع بروحه ومبادئه ومواقفه وأخلاقه وحمل لواءه في الأمة منادياً ليبقى للحق صوته وليبقى للحق امتداده وليبقى للعدل حَمَلَتَه وليبقى للنور الإلهي من يعملون على نشره في الأمة وليبقى طريق ونهج الإصلاح لواقع الأمة والتصحيح لمسارها قائماً وممتداً عبر الأجيال، لا يوقفه زمن ولا تقف بوجهه وتقضي عليه تحديات أو أخطار؛ لأن له حملةً عظماء حملوا روحيته، حملوا مبادئه، حملوه نوراً في قلوبهم وحملوه إيماناً راسخاً في قلوبهم وحملوا لواءه ورايته بكل ما هناك من تحديات وأخطار ونكبات كبيرة ومصائب مؤلمة وجارحة ، بثباته بصلابته بوهجه وقوته، كانوا يتحركون من عصر إلى عصر من جيل إلى جيل من زمن إلى زمن في مواجهة التضليل والزيف والطغيان والجبروت والهيمنة .

فالإمام الهادي ‹عليه السلام› باعتباره رمزاً من رموز الإسْلَام، وعَلَماً من أعلام الهُدى، هو في موقع القدوة، وفي موقع الأسوة يجب علينا في هذه المرحلة أن نتطلع إليه، وإلَى جهاده، وإلَى سيرته، وإلَى مواقفه، إلَى أقواله، إلَى علومه، إلَى كُلِّ ما قدمه للأُمَّة، من خلال ما اهتدى به وما التزم به وما تحلّى به من مبادئ الإسْلَام وقيم الإسْلَام وأَخْلَاق الإسْلَام وتعاليم الإسْلَام، فهو رمزٌ إسْلَامي نرتبطُ به في الدين قدوةً وعَلَمَ هدى.

المشروع القرآني للسيد حسين رضوان الله عليه وعلاقته بالإمام الهادي ‹عليه السلام›

ونستطيع القول بأن الشهيد القائد رضوان الله عليه جسد هذا النهج الذي سار عليه الإمام الهادي ‹عليه السلام› من خلال هذه المسيرة القرآنية المباركة التي هي الامتداد الحقيقي والصحيح للمنهج الذي سار عليه الإمام الهادي وسار عليه أعلام الهدى من العترة الطاهرة، لقد ارتبط بهذا الينبوع المتدفق بالخير والعطاء ليقتبس من الأنوار المحمدية العلوية التي ورثها الامام الهادي عن آبائه وأجداده إلى رسول الله محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله وسلم›.

فعمل الشهيد القائد رضوان الله عليه على إحياء النهج الذي تحرك به الإمام الهادي ‹عليه السلام› وتركه لأولاده وشيعته من بعده، وجسد من خلال المسيرة القرآنية القيم والمبادئ التي على أساسها تحرك الإمام الهادي والتي كانت قد غيبتها الثقافات المغلوطة والعقائد الباطلة، وعلى رأس ما غيب هو الجهاد في سبيل الله ورفع راية الحق والعدالة، وإعادة الدور الحقيقي لأهل البيت ‹عليهم السلام› في هداية الأمة والعمل على انقاذها كقرناء للقرآن الكريم ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف:١٥٩].

في دروس ومحاضرات الشهيد القائد رضوان الله عليه تجد أمامك دائماً الإمام الهادي ‹عليه السلام› بمنهجه القويم الذي يمثل منهج أهل البيت ‹عليهم السلام› الأصيل الذي ساروا عليه وجسدوه في حياتهم العملية كابراً عن كابر، بل يقولها الشهيد القائد صراحة في محاضرة (الوحدة الإيمانية):

(أولسنا نقول: نريد أن نعود إلى الإمام الهادي، وإلى من ساروا على نهج الإمام الهادي من بعد؟ أما من تأثروا بالآخرين وإن كانوا مكتوبين لدينا ضمن أئمة، ومسجلين في كتب تاريخنا كأئمة، وهم ممن ملأوا الساحة الزيدية بكتب الآخرين، وثقفوا الزيدية بثقافة الآخرين، أن هؤلاء ليسوا قدوات لنا، ولن نسير على نهجهم، بل لم نعد نتولاهم كأئمة).

وفي مجال التربية الإيمانية كثيراً ما يقدم الشهيد القائد القاعدة المعروفة عن الإمام الهادي ‹عليه السلام› كمعيار مهم في التعامل مع القرآن الكريم فيقول في ظلال دعاء مكارم الأخلاق:

في مجال التربية الإيمانية يجب أن نعود إلى القرآن الكريم، وإلى العترة، وعلى النحو الذي ذكر الإمام الهادي ‹عليه السلام› ونحن نتحرك فيما بين القرآن والعترة على هذا النحو: القرآن يدل على العترة، والعترة تدل على القرآن.. وإلا فسنكون أيضاً شاهداً - ولو شاهداً مغلوطاً في واقعه - على أن الإسلام يقبل الهزيمة، وأن الإسلام لا يمكن أن يقف في وجوه أعدائه).

أما عندما يتحدث الشهيد القائد عن عظمة الإسلام دائماً يقدم الإمام الهادي ‹عليه السلام› شاهداً ونموذجاً لمن يعرفون الإسلام وكيف يتحركون به من ذلك من ذكره في الدرس الثاني عشر وعده ووعيده:

(لو أخذنا الدين من القرآن الكريم ومن أهل بيت رسول الله لما عشنا أذلاء أبداً، ولا شعباً واحداً. ولو لم يكن العرب بكلهم إلا كشعب واحد من الشعوب الموجودة لكانوا هم من يقهرون العالم، ولكانوا هم من يوصلون هذا الدين إلى الأمة كلها، ومن كانوا يؤمنون بهذه الفكرة.

الإمـام الهادي نفسـه كان يقول: «**لو أن معـي خمسمائة شخص مخلصين لدوخت بهم الأرض**». خمسمائة شخص كان يقول.. يفهمون الإسلام بشكل جيد يقدم لهم الإسـلام بشكله الصحيح، يفهمون القرآن ومناهجه التربوية وخطابـه للنفس، خطابه للوجدان، خطابه للمشـاعر، يثقون بالله الذي نزل القرآن لكانوا نوعية أخرى تدوخ العالم بكله ولكانوا كتلا من الحديد، كتلا من الصلب.)

وعندما يتحدث الشـهيد القائد عن التقصير الحاصل من أهل البيت في مواجهـة الهجمة الأمريكية على بلدنـا اليمن يقدم خروج الإمام الهادي إلى اليمـن نموذجاً لأهل البيـت الحقيقيين والروحية التي يحملونها فيقول في مسؤولية أهل البيت ‹عليهم السلام›:

(الإمام الهادي خرج إلى اليمن بمفرده، بنى اليمن، وأقام دولة إسـلامية فـي اليمـن، ومـا تـزال بركاتـه إلـى الآن قائمـة، آخرون كثيـرون مـن أمثاله انطلقـوا إلـى المغـرب، وإلى إيران وإلـى بقاع أخرى في الدنيـا فكان الواحد منهم يصـلح أمـة بكاملها، لكنهم الآن آلاف مؤلفـة كادوا أن يذوبوا، كادوا أن يتلاشـوا، نسوا شـرفهم، نسوا المسئولية الكبيرة الملقاة على عواتقهم حتى في هذه الأوضـاع الخطيرة التي نشـاهدها، ونعايشـها نجد أنه غابت روحية أهل البيت السابقة، غابت من أوساط هذه الأعداد الكبيرة من أهل البيت.)

أمـا في محاضـرة (وإذ صـرفنا إليـك نفراً من الجن) فيؤكد رضـوان الله عليـه بـأن ما يقدمه لا يخرج عن كتاب الله ومن أقوال أئمة أهل البيت ‹عليهم السلام› كالإمام الهادي ‹عليه السلام› ومما ورد فيها قوله:

(أنا عندما أحدثكم لا آتي بجديد، بل من كتاب الله سبحانه وتعالى الذي عرفه من هو أكبر مني سـناً من الحاضـرين، ومن غيرهم، ومن أقوال أئمة أهـل البيـت ‹صلوات الله عليهم› ومنهج أهل البيت، كالإمـام الهادي، وغيره من قدمـاء العترة ‹عليهم السـلام› فنحن لـم نأت بجديد، إنما نشـكو من الجديد،

نحن نشكو من الجديد الذي هو دخيل على أهل البيت وعلى الزيدية، إنه هو الذي ضَرَبنا، هو الذي أثر علينا، هو الذي فرق كلمتنا، هو الذي جعلنا أذلة مستضعفين، جعلنا نصمت، نسكت على الرغم مما يواجه به الإسلام، والمسلمون من قبل أعداء الله، فأنا شخصياً لا أقول جديداً، بل كتاب الله، وما نعلمه من قدماء أهل البيت ‹عليهم السلام› ومنهجهم. فعندما يلمس الآخرون تأثيراً لكلام آتي به، إنما هي بركة القرآن الكريم، وبركة أئمة أهل البيت ‹صلوات الله عليهم›).

ويتحدث الشهيد القائد رضوان الله عليه في معرفة لله - وعده ووعيده - الدرس الثالث عشر عن سبب تغييب الحديث عن الإمام الهادي ‹عليه السلام› في المناهج وفي وسائل الإعلام فيقول:

وهكذا رأينا كيف أنه في مناهجنا الدراسية، وعلى شاشات التلفزيون، وفي غيره من وسائل الإعلام، نرى أعلاما أخرى تقدم للأمة، ويتحدثون عنها كثيراً في المساجد، في المعاهد، في المراكز، في الجامعات، وفي كل مكان. هذه الأعلام عند من يفهم واقع الأمة الآن أن أمريكا، أن اليهود والنصارى يتحكمون تقريبا في كل شيء، في الجوانب الإعلامية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، في الدول كلها يتحكمون فيها، ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة.

هم يعرفون أن تلك الأعلام لا تصنع شيئا؛ لأنه لو جسم في نفسك على أكبر ما يمكن لما كان باستطاعته أن يحركك، ليس فيه ما يحركك، إنما هي - كما يقال - : (نمور من ورق) فلنضع للشباب ولنضع للأجيال نموراً من ورق، أعلاماً وهمية لا تقدم ولا تؤخر، ولو تكرر اسمها آلاف السنين لن تعمل شيئا في النفوس؛ لأنه عندما تحاول أن تستيقظ وترجع إلى ذلك العلم لتستلهم منه شيئا تجده فارغا لا يمكن أن يكون فيه ما يدفعك.

لكن أعلاماً كالإمام علي ‹عليه السلام› كالحسن، والحسين، والزهراء، كزيد، والهادي، والقاسم، وغيرهم ممن هم على هذا النحو، هم الخطيرون في واقع الحياة، هم من لو التفت الإنسان، أو التفتت الأمة لتستلهم منهم شيئاً سترى ما يشدها، ترى ما يرفع معنوياتها، ترى المواقف المتعددة، ترى التضحية، ترى الاستبسال، ترى الشعور بعظمة الإسلام، ترى الاستهانة بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الإسلام.

إلى قوله:

متى رأينا في وسائل إعلامنا حديثا عن الإمام الهادي وعن أثره في اليمن؟ متى سمعنا برامجاً تتحدث عن أخباره وسيرته الحميدة وما عمله من أعمال عظيمة في اليمن وفي أوساط اليمنيين وفي هدايتهم؟ وهم من كان القرامطة قد عبثوا بأفكارهم، والباطنية، وبقايا كثيرة من اليهود كانت ما تزال في مختلف مناطق اليمن؟ لا حديث عنه إلا بما يسيء، لا حديث عنه إلا بتعسف بما يقدمه ناقصاً.

هكذا يفكر أولئك الناس، وهم ينظرون إلى القرآن، أو ينظرون إلى أعلام الإسلام أنه قد يكون هذا الاسم، وقد يكون هذا الكتاب وإن لم يكن له أثر الآن، وإن كنا نرى هذه الأمة قد ضربناها ضربة قاضية، لكن ما يزال هذا يشكل خطورة ولو بعد حين.

وعندما يتحدث الشهيد القائد رضوان الله عليه عن كيف كان ينظر أهل البيت ‹عليهم السلام› إلى السلطة يقدم الإمام الهادي ‹عليه السلام› شاهداً ونموذجاً متميزاً يتبين من خلاله روحية أهل البيت ونظرتهم إلى السلطة، فمثلا يقول في ظلال دعاء مكارم الأخلاق - الدرس الثاني:

(لكن أهل البيت في تاريخهم الطويل، كان الإمام الذي يحكم هو من يسطر بيده وجوب الثورة عليه فيما إذا ظلم، وجوب الخروج عليه فيما إذا انحرف عن المسيرة العادلة، كان الإمام الهادي ‹عليه السلام› يبايع الناس

على «أن تطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، بل يجب عليكم أن تقاتلوني».

(لماذا؟ لأن هناك انسجاماً كاملاً بين أهل البيت والقرآن، انسجاماً كاملاً بين مواقف أهل البيت ومبادئهم والقرآن والإيمان.. فهو يرى بل يتمنى وإن كان في موقع السلطة، يتمنى أن ترقى الأمة إلى أعلى درجات الإيمان، هو لا يخاف، هو يعلم أن ما هو عليه، أن موقفه، أن كماله الذي هو عليه لا يتنافى مع الإيمان، هو مقتضى الإيمان فمما يخاف؟ بل يتمنى. ألم يكن الإمام علي ‹عليه السلام› هو من يصدع بتلك الخطب البليغة لتوجيه الأمة، وتربيتها تربية إيمانية، وكذلك من بعده الحسن والحسين وزيد والقاسم والهادي وغيرهم.

●●●

فمن هو الإمام الهادي ‹عليه السلام› ؟

هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ‹عليهم السلام›.

ولادته ونشأته ‹عليه السلام›:

ولد ‹عليه السلام› بالمدينة المنورة سنة (٢٤٥ هـ) ونشأ وتعلم وتربى في أحضان نجوم الهدى، وبدور الدجى، أمثال: جده (نجم آل محمد) الإمام القاسم بن إبراهيم، وعمه (ووارث علم آل محمد وعابدهم) محمد بن القاسم وأبيه (الحافظ الزاهد) الحسين بن القاسم، وبقية آبائه وأعمامه ‹عليهم السلام›، ونشأ وترعرع وسط تلك البادية التي أكسبته الفصاحة والشجاعة.

وفي ذلك البيت - الذي تمثلت فيه أنصع صور الطهر والعبادة والعلم - تعلم الإمام الهادي ‹عليه السلام› ودماء النبوة تجري في عروقه، منحه الله بسطة في العلم والجسم؛ فحاز على مراتب العلم وبرز فيها، ولم يدركه أحد، وعرف آباؤه وأعمامه فضله على ما هم عليه من العلم فقدموه عليهم وبايعوه بالإمامة وعمره خمس وثلاثون سنة.

مما ورد في عظيم قدره ‹عليه السلام›:

ما روي بأن الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› أشار إلى اليمن وقال: «سيخرج رجل من ولدي في هذه الجهة اسمه يحيى الهادي يحيي الله به الدين»[1].

وعن علي ‹عليه السلام› أنه قال: «يا أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، أيها الناس أنا أحلم الناس صغاراً، وأعلمهم كباراً، أيها الناس، إن الله تعالى بنا فتح، وبنا ختم. أيها الناس، ما تمر فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها،

(١) التحف شرح الزلف ١ ص ١٩٣.

ثم ذكر فتنة بين الثمانين ومائتين، قال: فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي؛ يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله بين قلوب المؤمنين على يديه كما تتألف قزع الخريف، انتظروه في الأربع والثمانين ومائتين في أول سنة واردة وأخرى صادرة».[1]

بعض صفاته ‹عليه السلام›

قوته وبأسه وشجاعته:

كان ‹عليه السلام› موصوفاً من أيام صباه بفضل القوة والشدة والبأس والشجاعة فقد آتاه الله بسطة في العلم والجسم.

فقد روي أنه ضرب رجلاً بنجران بالسيف فأخرجه من بين رجليه، فقال رئيسهم: استروا ضربة هذا العلوي، فوالله لئن رآها الناس لا تناصروا[2]

ومع قوته تلك اقترنت الشجاعة العلوية التي ازدانت بأفضل أنواع الصفح والعفو، فقد كانت شجاعته تشبه شجاعة جده علي ‹عليه السلام› فكان صورة طبق الأصل لشجاعة وبطولة فارس الإسلام وبطل بدر وأحد والخندق وخيبر.

فقد قال لأصحابه يوماً وهو يحثهم ويوجب عليهم قتال القرامطة: ما يجزعكم من عدوكم وأنتم ألفا رجل؟!.. فقالوا: إنما نحن ألف! فقال ‹عليه السلام›: أنتم ألف وأنا أقوم مقام ألف، وأكفي كفايتهم.

وله ‹عليه السلام› ليلة مع القرامطة تشبه ليلة الهرير لعلي ‹عليه السلام› في النهروان مع الخوارج.

وفي إحدى المعارك مع آل يعفر وهو في قلة من أصحابه هجم عليهم

---

(١) سيرة الهادي إلى الحق ص٣١، مآثر الأبرار ج١ ص ٣٧٩ التحف ١ ص ١٩٣.

(٢) الشافي ١/٣٠٥.

حتى خالطهم بأصحابه وقتل حامل رايتهم وهزمهم؛ فتعجب الناس من شجاعته تلك، فلما بلغ الهادي ‹عليه السلام› قال: ويحهم، ما يعجبون من ذلك، ولو كان معي ألفا رجل وخمسمائة فارس مؤمنين صابرين لدوخت بهم عامة الأرض.[1]

ومن مواقفه الشجاعة: كان ‹عليه السلام› إذا طلع على ظهر فرسه لم تقم له قائمة، وهجم عليه العدو بـ (ريدة) فانهزم عنه أجناده فثبت في وجه عدوه في عدة يسيرة من أصحابه، ولما رأى من انهزم عنه ثباته ونكايته في عدوه عطفوا وحمل فقتلهم مقتلة عظيمة وقال في ذلك اليوم:

الخيل تشهد لي وكل مثقف[2]
بالصبر والإبلاء والإقدام
حقا ويشهد ذو الفقار بأنني
أرويت حديه نجيع طغام
نهلا وعلا في المواقف كلها
طلبا لثأر الدين والإسلام
حتى تذكر ذو الفقار مواقفا
من ذي المعالي السيد القمقام[3]
جدي علي ذي الفضائل والنهى
سيف الإله وكاسر الأصنام
صنو الرسول وخير من وطئ الثرى
بعد النبي إمام كل إمام

(١) التاريخ الإسلامي ٢/٥٢.
(٢) المثقف: الرمح المقوَّم (بتشديد الواو وفتحه).
(٣) بالفتح والضم السيد والآمر العظيم والبحر. أفادة القاموس.

سعة علمه:

أما تقدمه في العلم فاشتهاره ومؤلفاته تغني عن تقصيه، ومن أحب أن يعرف ذلك فلينظر في كتبه وأجوبته عن المسائل التي كان يُسأل عنها حتى حدث أبو العباس الحسني ‹رحمه الله› عن الفضل بن عباس أنه سمع محمد بن يحيى المرتضى ‹رضي الله عنه› يقول: (إن يحيى بن الحسين ‹عليه السلام› بلغ من العلم مبلغا يختار عنده ويصنف وله سبع عشر سنة).

قال أبو بكر بن يعقوب - عالم أهل الرأي[1] وحافظهم - عندما جاء إلى اليمن ورأى الإمام الهادي ‹عليه السلام›: (كنت لا أعترف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جدع[2]، بينما أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا أقوالاً إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم؛ فأراده؛[3] فيخرج لي المسألة في كتبنا على ما حكى وادعى فقد صرت إذا ادعى شيئاً عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثراً)[4].

وقال محمد أبو زهرة: (والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي فهو حفيد الرسي كما أشرنا من قبل، وقد ولد بالمدينة سنة ٢٤٥هـ وعكف على الفقه يدرسه من كل نواحيه وفي كل مصادره، وقام هادياً مرشداً يدعو إلى الله سبحانه وإلى صراط مستقيم، وكان مرجعاً في الدين من كل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة، يسألونه ويستفتونه وهو يرد عليهم برسائل قيمة أُثرتْ عنه؛ يدافع فيها عن القرآن والسنة ويبين الحق الذي يرد زيغ الزائغين).[5]

---

(١) هم الحنفية وسموا بذلك لكثرة إعتمادهم على القياس - هامش الإفادة : ص ١٣١.

(٢) جدع: مأخوذة من الجذع بإبدال الذال دالاً؛ لأن الجذع من الرجال هو الشاب الحدث (بفتح الحاء والداء).

(٣) أراجعه.

(٤) الإفادة ١٣.

(٥) أبو زهرة ص ٥١٥.

واجتمع عليه يوماً في - صنعاء - سبعة آلاف عالم من الجبرية، واختاروا شيخهم، وتقدم يسأل الإمام الهادي ‹عليه السلام›: ويناظره فقال: ممن المعاصي؟ فقال ‹عليه السلام› ومن العاصي؟ فاحتار ولم يعرف إجابة. وعاد إلى أصحابه وأخبرهم بعجزه عن عدم معرفة الإجابة وقال: ويحكم إن قلت: العاصي الله كفرتُ وإن قلت: العبد. دخلت في مذهبه؛ فرجعوا جميعاً إلى مذهبه ‹عليه السلام›[1].

ويقول الشيخ أبو زهرة: ولم تكن شهرة الإمام الهادي بحكمه العادل فقط بل كانت شهرته بعلمه وفقهه، ومن الحق أن صورة حكمه تبين حكم العالم ينفِّذ آراءه العلمية في حكمه تنفيذا دقيقاً[2]).

ويقول: (وأن رسائله وخطبه وعهوده تجعل القارئ يحس بأنه يعود بالإسلام إلى عهده الأول)[3].

ويقول الدكتور أحمد محمود صبحي أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في كتابه (الزيدية): (الإمام الهادي ‹عليه السلام› أهم شخصية في المذهب الزيدي لا يفوقه إلا المؤسس الإمام زيد، أحاط الهادي إحاطة كاملة بعلوم الدين وأخصها... إلى جانب مثابرة على الجهاد دون كلل؛ فكان نموذجاً كاملاً للإمام الزيدي، فلا غرو أن يطبع المنهج الزيدي في اليمن بطابعه وبخاصة في الفقه فتعرف الزيدية هناك باسم (الهادوية). وإذا كان قد جمع بين العلم والجهاد فقد جمع كذلك بين صفتين تبدوان متعارضتين وهما: رجل الدولة، ثم الزهد، وما ذاك إلا لاجتماع النظر والعمل فيه إلى حد التطابق، يؤمن ثم يفعل ما به يؤمن؛ فلا يعرف ازدواج النظر والعمل إلى قلبه سبيلاً «والله إنها لسيرة محمد أو النار».

وقال: عرف التشيع أئمة اقتصروا على العلم دون الجهاد كما عرف أئمة

---

(١) التاريخ الإسلامي ج٢ – ص٥٤.

(٢) الإمام زيد : ص ٥١٥.

(٣) أبو زهرة ص ٥١٣.

غلبوا الجهاد على العلم، وعرف التشيع وغير التشيع رجال دولة يظنون أن حجابا يفصل بينهم وبين الرعية لازمٌ من أجل دعوى غرس المهابة لهم في قلوب الناس، ولكننا بصدد إمام يطعم بيده ويؤاكل المساكين معه، أما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحو فائق، وأن يكون الورع والزهد ومواساة المحتاجين من خصال رجل الدولة؛ فذاك مالا يكون على مر العصور والدهور إلا في الواحد بعد الواحد، ومنهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين[1].

لقد كان الإمام الهادي ‹عليه السلام› إلى جانب ما يحمله من علم؛ مجاهداً طوال حياته، والياً عدلاً، يتابع أحوال رعيته ومظالمهم معلماً ومرشداً لأصحابه، يجيب عن مسائلهم وأسئلتهم حتى وإن كان في حال المعركة، وقد تتلمذ وتخرج على يديه مالا يحصى من العلماء والفضلاء الذين حملوا فكره وعلمه إلى جميع أصقاع الأرض، ومنهم على سبيل الاختصار: ولداه محمد وأحمد، وأخوه عبدالله بن الحسين، وعلي بن محمد العلوي مؤلف سيرة الإمام ‹عليه السلام› ووالده[2]، ومحمد بن سليمان الكوفي وأخوه علي، وعلي بن العباس الحسني، وغيرهم الكثير.

---

(١) الزيدية ١٨٠.

(٢) كان محمد بن عبيد الله العلوي من أشد أتباع الهادي ‹عليه السلام› وكان والياً على نجران، واستشهد هناك مع أهله وأسرته في فتنة القرامطة في معركة رهيبة قال عنها المؤرخ ابن أبي الرجال: (إنها تشبه كارثة الطف) ومن يقرأ تفاصيل المذبحة وظروفها يقدر مصداق قول ابن أبي الرجال، ولقد بلغ بالقرامطة الحقد والانتقام مايجاوز كل شيء، فقد وقف شاعرهم وهو يحتز رأسه ويرتجز:

شيخ بشيخ وصبي بصبي شفيت نفسي وبلغت مأربي
ولا أبالي بعد ذا ما حل من سخط الله ومن لعن النبي

وقد خرج الإمام الهادي ‹عليه السلام› لتأديبهم ومعه حامل رايته الفارس الشجاع علي بن محمد العلوي، ودارت معركة رهيبة، وعاد علي بن محمد مثخناً بجراحاته وفي خيوان استشهد متأثراً بجراحه. وقد حزن الإمام عليه حزناً شديداً ووقف يقول:

قبر بخيوان حوى ماجداً منتخب الآباء عباسي
قبر علي بن أبي جعفر من هاشم كالجبل الراسي
من يطعن الطعنة خوارة كأنها طعنة جساس

انتهى من التاريخ الإسلامي للأستاذ أحمد الهادي.

تواضعه :

كان ‹عليه السلام› شديد التواضع: يعود المريض، ويكلم الصغير، ويسلم على كل من مر به؛ يقول مؤلف سيرته علي بن محمد العلوي: (رأيت يحيى بن الحسين مالا أحصيه: يخرج إلى المسجد يصلي أو لحاجة فيكلمه الصبي أو المرأة الكبيرة أو الرجل؛ فرأيته يقف معهم طويلاً والناس قيام حتى يسألوا حوائجهم فيقضيها لهم)[1].

وكان يدني الأيتام والمساكين من مجلسه ولا يأكل طعاماً حتى يطعمهم منه، وكان يفت الطعام للأيتام ثم يأمر بإدخالهم عليه فيأكلون ويأكل معهم[2].

عبادته:

كان ‹عليه السلام› ينطلق في عبادته وفي سلوكه كله من منطلق فهمه العميق الواسع لمعين العبادة لله وأن كل عمل يأتيه الإنسان في حياته يكون عبادة وجهاداً إذا قصد به وجه الله، وكان يقول لأصحابه: «**اتقوا الله في سركم وعلانيتكم وعاملوا الله تعالى، وإن فعلتم شيئاً فاجعلوه خالصاً، إن أصلحتم سلاحاً فتكون نيتكم أنه لله، وإن علفتم دابة تقدموا النية في ذلك أنه لله، وإن مشى أحد منكم في جهة من الجهات فقدموا النية في ذلك لله، فإنما أنتم في جميع ما فعلتم في جميع الأمور في صلاح الإسلام**»[3]

وكان ينصح أصحابه بمجاهدة أنفسهم ومحاسبتها؛ فكان يقول لهم: «**وعليكم بتأديب أنفسكم فلو وعظتكم ثلاث سنين ثم فارقتكم ساعة لنسيتم ما وعظتكم به إذا لم تناظروا أنفسكم في خلواتكم؛ فعليكم بجهاد أنفسكم في الخلوات، وعليكم بترك الغضب حتى تذلوا أنفسكم لله وإنما**

---

(١) السيرة ص ٥٨.

(٢) السيرة ص ٣٨٧.

(٣) سيرته للعلوي : ص١٢٣.

أقول لكم هذا لأني أمسيت مؤتمناً على هذه الأمة أفكر في صلاحها ومن أين تصلح»[1].

روى الإمام أبو طالب ‹عليه السلام› بإسناده عن سليم[2] وكان يتولى خدمة الهادي ‹عليه السلام› في داره قال: كنت أتبعه حين يأخذ الناس فرشهم في أكثر لياليه بالمصباح إلى بيت صغير في الدار؛ كان يأوي إليه؛ فإذا دخل صرفني فأنصرف، فهجس بقلبي ليلة أن أحتبس وأتيت إلى باب المسجد أنظر ما يصنع، قال: فسهر ‹عليه السلام› الليل أجمع ركوعاً وسجوداً وكنت أسمع وقع دموعه ‹عليه السلام›، ونشيجاً في حلقه، فلما كان الصبح قمت فسمع حسي فقال: من هذا؟ فقلت: أنا، فقال سليم: ما عجل بك في غير حينك؟ قلت: ما برحت البارحة جعلت فداك، قال: فرأيته اشتد ذلك عليه وحرج علي أن لا أحدث به في حياته أحداً[3].

حبه للجهاد والتضحية:

لقد كانت قضيته ‹عليه السلام› باختصار: رجل باع نفسه لله لم يعد له من مطمع ولا من غاية سوى أن يفي ببيعته في الدنيا، على أمل أن يقبض الثمن في الآخرة، كان كل همه الآخرة والجنة وما فيها من حياة أبدية ونعيم مقيم ورضوان من الله أكبر، وعند قراءته لقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١] قال معلقاً على ذلك: «فيا لها من تجارة ما أربحها ويا لها من دعوة ما أرفعها، دنيا يسيرة فانية وآخرة كبيرة باقية، وحياة أيام تزول

(١) سيرته للعلوي: ص ١٢٤.
(٢) خادم الهادي ‹عليه السلام›.
(٣) الإفادة: ص ٦٠.

بحياة أيام أبداً لا تحول، والنكد والنصب والشدة والتعب بالراحة والسرور والغبطة له في كل الأمور، فاز والله من بادر فاشترى الجنة بأيام حياته، وخاب من تخلف عن متابعة الله وسوَّف» [1].

وقال ‹عليه السلام› **بعد أن روى حديث النبي** ‹صلى الله عليه وآله وسلم› **عن جبريل** ‹عليه السلام› **أنه قال: «إن يوم الجمعة يوم القيامة وفيه تقوم الساعة» قال** ‹عليه السلام›: **«ما زلت منذ رويت هذا الحديث يدخلني في كل جمعة وجلٌ وخوف، وما ذلك من سوء ظني بربي، ولكن مخافة من لقائه، ولم أقم بما أمرني بالقيام فيه» يعني الجهاد.** [2]

في ميدان الجهاد:

لعل المتتبع لسيرة الإمام الهادي ‹عليه السلام› **يلاحظ مدى محاولة الإمام الهادي** ‹عليه السلام› **اقتفاء أثر الرسول** ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› **في جميع أموره حتى في مسميات الجيش فقد كان جيشه مكون من المهاجرين والأنصار، وكان لا يقاتل قوماً إلا بعد دعوتهم وإقامة الحجة عليهم وإرسال رسله إليهم بأن يدخلوا فيما دخل فيه المسلمون، وأن يحقنوا الدماء، ويعلنوا توبتهم، ويرجعوا إلى الحق إذا كانوا من ناقضي العهد، فإن أبوا قاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم.**

كان كثير الصفح والعفو مهما تكرر نكث الناكثين وغدرهم، يمنع أصحابه أن يتبعوا مدبراً، أو يقضوا على جريح، أو يقتلوا وليداً أو امرأة أو شيخاً لا يطيق القتال، أو يقطعوا شجراً، أو يمثلوا بآدمي أو بهيمة.

ولقد كانت تلك القوة والشجاعة تنعكس سماحة وعدلاً على الأعداء، مما جعلهم يتوافدون عليه للبيعة في كل جهة ينزل فيها.

---

(١) المجموعة الفاخرة.

(٢) درر الأحاديث النبوية.

يقول عبدالفتاح شايف في كتابه الإمام الهادي والياً وفقيهاً ومجاهداً: (ولقد قضى الإمام الهادي ‹عليه السلام› عمره كله لتلك الغاية النبيلة التي أعلنها في مبدأ أمره، عاش حياته كلها جهاداً ورضاً، لم يدخر لنفسه فيها درهماً ولا ديناراً، ولم يسعَ لملك ولا سلطان، وما تناقضت أفعاله مع أقواله يوماً من الأيام، وإنما ظلت حياته كلها نسقاً واحداً ونفحاً صادقاً منذ أن خرج لإعلاء كلمة الحق حتى لقي الله).

الحفاظ على الهيبة:

يقول مؤلف سيرته: ورأيته وقد قطع قباء[1] ملحماً، فقال: «**والله لو كنت بين مؤمنين ما لبست مثل هذا ولا هذا من لباسي، وما أشتهي أن ألبس إلا الغليظ من الثياب، ولو لبسته لاستُخفّ موضعي؛ فقد ميزت أمورهم فرأيتهم لا يطيعون إلا من كان عليه مثل هذا الثوب، ولكأن على جلدي من لباسه الشوك**»[2].

ويقول ‹عليه السلام›: «**والله لقد ركبت أعود مريضاً بقميص وإزار؛ فلما ظهرت من المنزل استغفرت الله تعالى إذ ركبت بقميص وإزار، لأني فكرت فقلت: لو رآني أحد من هؤلاء الجبابرة أو من الناس ممن لا عقل له ولا تمييز وأنا كذلك لنظر إلي بعين القلة والمهانة، وهذا فساد في الإسلام، فاستغفرت الله تعالى من ذلك؛ لأن الهيبة صلاح الإسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال: ٦٠] **فأخيفوا أعداء الله بما أمكنكم وأجعلوا لله ذلك خالصاً**».[3]

●●●

(١) قباء ملحم (بضم الميم وسكون اللام وفتح الحاء)؛ جنس من الثياب.

(٢) العلوي ص ٥٦.

(٣) سيرته ص ١٢٤.

خروج الإمام الهادي ‹عليه السلام› إلى اليمن

عند بزوغ فجر الإسلام كان اليمنيون السابقون قبل غيرهم من تحركوا لنصرة الإسلام ورسول الإسلام، فاحتضنوا رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› في دار هجرته، وآووه ونصروه، وأسلم أهل اليمن جميعاً في عهد رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› دون ضغط أو إكراه.

أرسل الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› الإمام علياً ‹عليه السلام› إلى أهل اليمن فأسلمت همدان في يوم واحد فبعث إلى الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› يخبره الخبر؛ فلما قرأ الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه وقال: «السلام على همدان» ثلاثاً.

وأقبلت طلائع الوفود على رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› معلنين إسلامهم، ففرح بذلك رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وقال: «أتاكم أهل اليمن وهم ألين قلوباً، وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية».

ولقد كان لأهل اليمن دورهم المميز في الفتوحات الإسلامية، وكانوا أيضاً قادة وجنود الإمام علي ‹عليه السلام› في قتاله الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

وقد قال علي ‹عليه السلام› معبراً عن ذلك في قصيدة طويلة قال في آخرها:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وبسبب هذا الارتباط الوثيق بين اليمنيين بالرسول وأهل بيته، ودور اليمنيين البارز في نصرة الإسلام ووقوفهم مع الإمام علي ‹عليه السلام› باعتباره الامتداد الحقيقي لرسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› لهذا كله عاقبهم بنو أمية حملة الموروث الجاهلي ومن تلك العقوبات أن معاوية أرسل إلى اليمن جيشاً بقيادة "بسر بن أرطأة" بمساندة من الموالين للدولة الأموية، فعاث في الأرض فساداً وقتل النساء والأطفال والشيوخ.

وكان من ضمن قتلاه طفلا عبيد الله بن عباس - قثم وعبدالرحمن - ذبحهما بيده وهما على مصحفهما يتعلمان القرآن، وكان عبيد الله بن عباس قد تركهما عند أم سعيد البرزخية، وبلغ علياً ‹عليه السلام› خبره فقال: «**اللهم اسلبه دينه وعقله**» ووجه إليه جارية بن قدامة السعدي، ومعه وهب بن مسعود في أربعة آلاف فارس، فهرب بسر بعد أن قتل الآلاف من محبي أهل البيت ‹عليهم السلام› وعند وصوله إلى الشام أصيب بالجنون وساءت خاتمته وكان يأكل الأذى ؛ فيمنعه أهله، فيقول لهم: «**أنتم تمنعوني وقثم وعبدالرحمن يطعماني إياه**».

ثم حل باليمن مأساة أخرى أيام عبدالملك بن مروان إذ كان أخو الحجاج "محمد بن يوسف الثقفي" والياً على اليمن وكان مشهوراً بالظلم والقسوة، فقتل الكثير من أهل صنعاء.

ثم تنازع اليمن: الولاة في العصر العباسي، ومنهم محمد بن زياد استخلفه المأمون لما رأى تكاثر محبي أهل البيت في اليمن[1].

وعملوا على تفريق اليمن إلى قبائل متناحرة متنافرة فيما بينها، كثر الصراع والحروب والفتن بين القبائل اليمنية حتى ضاق بهم الحال فشدوا الرحال إلى المدينة يطلبون من أهل البيت ‹عليهم السلام› الذين تشربت قلوبهم بحبهم أن ينقذوهم من هذه الوضعية وخصوصاً أنهم قد سمعوا بصيت الإمام الهادي ‹عليه السلام› وعلمه وشجاعته.

كان ‹عليه السلام› قد بايعه أعمامه وآباؤه بالإمامة لما رأوا من علمه وورعه وتقواه وخشيته من الله سبحانه وتعالى وتواضعه وكرمه وأخلاقه، وتوجهوا جميعاً إلى طبرستان، ثم عادوا إلى الرس فجاءه وفد من علماء اليمن وقبائلهم يطلبونه الخروج وألزموه أمام خالق السموات والأرض القيام بأمر الله سبحانه وتعالى.

---

(١) التاريخ الإسلامي.

وكان ذلك في عهد الدولة العباسية سنة ٢٨٠هجرية أيام المعتضد العباسي وكان عمره ‹عليه السلام› حين ظهوره ٣٥ سنة؛ فاستجاب ‹عليه السلام› لذلك استجابة لأمر الله سبحانه وقد قال ‹عليه السلام›: «والله الذي لا إله إلا هو وحق محمد ما طلبت هذا الأمر، وما خرجت اختياراً وما خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجة علي، ولوددت أنه كان لي سعة في الجلوس، وكيف لي بأن يسعني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنا فيه مزموم[١] بزمام، أنا والله إذا جنني الليل أفكر فيما عملت وما كان مني في يومي؛ فأناظر نفسي في ذلك فأردد على نفسي وأقول: فعلت كذا، وكان كذا أصلح، ولو لم أكن في هذا الأمر لم يمنعني ترك الفكر في هذا الأمر حتى ناظرت نفسي فيه طويلاً فما وجدت إلا الخروج أو الكفر بما أنزل الله على محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›».

وقال ‹عليه السلام›: «والله لولا كرامة الله ما نظرت في هذا الأمر»[٢].

وهكذا خرج معهم ‹عليه السلام› لإحياء كتاب الله والعمل بسنة رسول الله، وإماتة البدعة والضلالة، ووصل صعدة سنة ٢٨٠ هـ ثم رحل إلى قرية الشرفة ناحية بني حشيش بالقرب من صنعاء، ولبث مدة يسيرة؛ فظهر منهم الخلاف لبعض الأوامر الشرعية فقال: «هل هي إلا سيرة محمد ‹صلى الله عليه وآله وسلم› أو النار والله لا أكون كالفتيلة تضيئ غيرها وتحرق نفسها» ثم عاد إلى الحجاز.

قيل: أن سبب غضبه ورحيله أن بعض الأمراء هناك، من أولاد ملوك اليمن، من عشائر أبي العتاهية[٣] شرب الخمر فأمر بإحضاره ليقيم عليه

(١) مزموم: مخطوم. وتعني أنه يتبع أوامر الله.

(٢) العلوي ص ٥٢.

(٣) أبو العتاهية الهمداني أحد ملوك اليمن في القرن الثالث عرف بالتدين ورجاحة العقل وهو الذي استقدم الإمام الهادي ‹عليه السلام› من الرس إلى اليمن وبايعه هو وعشائره وكانت له مواقف عظيمة بين يديه.

الحد، فامتنع عليه فقال ‹عليه السلام›: **لا أكون كالفتيلة تضيئ غيرها وتحرق نفسها**[1].

يقول الشيخ أبو زهرة: (ولكن عاد إلى الحجاز بعد أن تعلقت به القلوب ووجد الراشدون من أهل اليمن أنه الإمام الذي يستطيع أن يجمع شمل اليمنيين وأن يحارب بهم البدع التي كانت منتشرة ومذهب القرامطة الذي كان يساورهم).[2]

●●●

(١) مقدمة التحرير : ٢٧.

(٢) الإمام زيد : ص ٥١١.

الخروج الثاني

وبعد خروج الإمام الهادي ‹عليه السلام› من اليمن؛ عمهم - بعد رحيله البلاء وشملتهم الفتن، وانقطع الغيث ويبس الزرع[1]، وساءت حالتهم، ولما اشتد بهم ذلك؛ عرفوا أنه لن يجمع شملهم، ولن يميت الباطل، ويعيد الحق إلا الإمام الهادي ‹عليه السلام›؛ فذهب وفد منهم يحملون إليه كتباً من مختلف قبائلهم يخيرونه فيها بتوبتهم، ويسألونه الخروج إلى بلدهم ويعطون له بيعتهم وأنهم قد ندموا على ما كان من تفريطهم في أمره حين تركوه يخرج من عندهم)[2].

ومرة أخرى يتوجه ‹عليه السلام› إلى اليمن ويودعه أكابر أهل بيته ‹عليهم السلام› فيهم عالم آل محمد: محمد بن القاسم ‹عليه السلام› وكان مما قاله: «**يا أبا الحسين لو حملتني ركبتاي لجاهدت معك يابني، أشركنا الله في كل ما أنت فيه، وفي كل مشهد تشهده، وفي كل موقف تقفه**»[3].

ووصل الإمام ورفاقه مدينة صعدة في اليوم السادس من صفر سنة ٢٨٤ هجرية، وضرب خيامه على مقربة منها؛ فخرج إليه أهل صعدة من قبيلتي سعد والربيعة من خولان الذين كانت بينهم فتنة عظيمة أتت على الكثير من رجالهم وأموالهم وابتدأ الإمام الهادي ‹عليه السلام› فخطبهم خطبة بليغة ذكرهم فيها بالله ووعظهم، يقول أحد الحاضرين: (فرأيت الناس وبهم رجة وهم يبكون مما سمعوا من كلامه ومواعظه)[4]

ثم أمر بمصحف فاستحلف بعضهم لبعض بترك الفتنة والعداوة، كما استحلفهم لنفسه على أن يطيعوه ويناصروه، ويقوموا بأمر الله معه،

---

(١) سيرته ٦٥.

(٢) سيرته : ٦٥.

(٣) المصابيح ١ص٥٢٤.

(٤) سيرته ص ٤١.

فبايعوه في موضعه ذاك واختلط الفريقان، وارتفعت أصواتهم بالتكبير ودخلوا بأجمعهم صعدة أخوة متحابين كأن لم يكن بينهم شيء)[1]

وجعل من صعدة عاصمة لدولته وخلال فترة وجيزة تمكن الإمام الهادي ‹عليه السلام› أن يكتسح اليمن من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ووزع رجاله في طول البلاد وعرضها ينشرون الدعوة ويقيمون حكم الله وكان يتوجه إلى الله سبحانه بهذا الدعاء: «**اللهم ألهمنا الصبر وأعظم لنا الأجر وتقبل منا عملنا واجعله خالصاً لك لا يشوبه عمل لغيرك يا أرحم الراحمين**» ثم يقول: «**حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[2].

الأهداف المقدسة التي تضمنتها بنود البيعة

عندما وقف ‹عليه السلام› يدعو إلى بيعته عاهدهم على الآتي:

أيها الناس إني اشترط لكم أربعاً على نفسي:

١- الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›.

٢- والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أؤثركم ولا أتفضل عليكم.

٣- وأقدمكم عند العطاء قبلي.

٤- وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي.

وأشترط لنفسي عليكم اثنتين: -

١- النصيحة لله سبحانه ولي في السر والعلن.

٢- والطاعة لأمري في كل حالاتكم ما أطعت الله فيكم، فإن خالفت طاعة

---

(١) سيرته: ٣٢.

(٢) الإمام الهادي ص ١٧٤.

الله عز وجل فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت وعدلت عن كتاب الله فلا حجة لي عليكم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

يقول الشيخ أبو زهرة بعد أن أورد نص البيعة: ومن هذا البيان الذي قدم بيعته ومن عدة بيانات أخرى على هذا المنهاج يتبين أن أعظم مقاصده إقامة حكم إسلامي، وجمع كلمة المسلمين على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›، وقد كان يسعى جهده لجمع شمل المسلمين وإصلاح أمورهم فيما بينهم ويروى في ذلك أنه كان يقول: «لوددت أن الله أصلح هذه الأمة وإني جعت يوما وشبعت يوما» وبهذا يتبين أنه ما كان يطلب الملك ولكن كان يطلب إصلاح أمر المسلمين وإحياء الشريعة وفرض سلطانها.

وبعد أن استقر في صعدة اتجه إلى أمرين:

أحدهما: جمع اليمن وما جاورها على حكم واحد، والقضاء على التفرق بها، وقد جاهد في ذلك جهاداً شديداً وحارب المبتدعين وأهل الأهواء حتى استقر لحكمه أكثرها.

والأمر الثاني: توزيع العدالة الحقيقية بين ربوع اليمن ليكون الاطمئنان والاستقرار، فلا يطمئن الناس إلا إلى حكم عادل يشعرون فيه بالعدالة، وقد عمل على نشر العدالة بكل شعبها وعلى رأسها العدالة الاجتماعية)[1].

ولقد قضى الإمام الهادي ‹عليه السلام› عمره لتلك الغاية النبيلة التي أعلنها في مبدأ أمره، عاش حياته كلها جهاداً ونصباً، لم يدخر لنفسه فيها درهماً ولا ديناراً، ولم يسع لملك ولا سلطان، وما تناقضت أفعاله مع أقواله يوماً من الأيام، وإنما ظلت حياته كلها نسقاً واحداً، ونغماً صادقاً منذ أن

(١) الإمام زيد ص: ٥١١، ٥١٢.

خرج لإعلاء كلمة الحق حتى لقي الله[1]) وكان يقول ‹عليه السلام›: «والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي وأن يدي معلقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً».[2]

لقد عمل الإمام الهادي ‹عليه السلام› منذ لحظة وصوله على إنهاء النزاع الدائم بين القبائل اليمنية وركز جهوده على إنهاء حالة التوتر القائمة في البلاد والتمزق الاجتماعي والسياسي فأوقف النزاع القائم بين (الأكيليين والفاطميين) وأصلح بين القبائل المتقاتلة في نجران وهمدان وغيرها من القبائل وكان نجاح الهادي في الإصلاح بين القبائل يزيد من شعبيته ورصيده السياسي وحقَّق تقدُّماً لافتاً في صعدة ونجران وما حولهما.

وقد شجعه هذا على المضي قدماً في مشروعه السياسي وضم المناطق الأخرى التي لم تكن تبدي مقاومة - تذكر أو يفتحها فتحاً سياسياً؛ فدخل شبام عاصمة اليعفريين بدون قتال، ومنها تحرك إلى صنعاء التي سلمت له راضية، ولم يكن يقيم الهادي في أي منطقة يدخلها إلا ريثما يرتب أوضاعها ويعالج ما يحتاج منها لمعالجة شرعية وقانونية؛ ولذلك لم يتأخر في صنعاء ليتحرك جنوباً إلى ذمار التي بايعت الهادي وفي غضون أربعة أعوام حقق الهادي إنجازاً سياسياً يعد قياسياً بلحظ ظروف اليمن الاجتماعية والاقتصادية وأصبحت دولته تضم الجزء الأكبر من اليمن وتمتد من نجران شمالاً إلى عدن جنوباً كما جاء في بعض الروايات[3].

(١) الإمام الهادي ص: ١٢٩.

(٢) سيرته للعلوي ص ١٣٠.

(٣) من بحث للأستاذ عبد الملك العجري.

المواجهة مع القرامطة الأشرار

بعد أن نشر الإمام الهادي ‹عليه السلام› دعوته من صعدة عاصمة دولته ووفدت عليه القبائل من كل جهة وأرسل عماله إلى تلك المناطق لإقامة تعاليم الإسلام في كل منطقة ودخل صنعاء واستقبله واليها من قبل الدولة العباسية آنذاك واسمه أبو العتاهية (عبدالله بن بشر) ظهرت حركات التمرد والخروج ‹عليه السلام›: من اليعفريين المدعَّمين بولاء وقوة الدولة العباسية، وتبعهم على ذلك بعض القبائل في نجران وغيرها، ثم كانت حركة القرامطة، ودعوتهم الشاذة، بقيادة علي بن الفضل القرمطي الذي ادعى النبوة، وأحل نكاح البنات والأخوات وشرب الخمور، وكان يبيح لجنوده نهب الأموال وسبي النساء وفعل كل محرم، لذلك تبعته جماهير غفيرة من الراغبين في النهب والفجور حتى فكر في التوجه إلى الكعبة وهدمها.

ووصل جماعة من أهالي صنعاء يستنهضونه الخروج معهم لقتال القرامطة وكان قد وصله خبر علي بن الفضل وعزمه على هدم الكعبة فجمع الهادي أصحابه وقال لهم: «**قد لزمنا الفرض في قتال هذا الرجل**».

وقد تردد أصحابه في بادئ الأمر لما كانوا يسمعونه عن كثرة جيوش القرامطة وقلة عددهم إلا أن الإمام الهادي ‹عليه السلام› شجعهم وأثارهم وكان يردد قول الله سبحانه ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج:٤٠].

وكان أصحابه في ذلك الوقت المقاتلة منهم ألف فقال لهم الهادي ‹عليه السلام›: «**تفزعون وأنتم ألفا رجل**»، فقالوا: إنما نحن ألف رجل، فقال: «**أنتم ألف وأنا أقوم مقام ألف وأكفي كفايتهم**».

ثم انتخب منهم ثلاثمائة رجل وسلحهم بسلاح الباقين وبيت جيش

القرامطة فهزمهم شر هزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم جيشاً كثيراً[1].

وحرر صنعاء منهم وبقي في صراع معهم نحو من خمس سنين مجاهداً في سبيل الله لإرساء قيم الحق والعدالة وقد نصره الله عليهم في جميع المعارك الحربية التي خاضها رغم قلة أصحابه في أكثر المواطن وبذل حياته في سبيل تحقيق تلك الغاية[2].

●●●

(١) الإفادة ١٣٧.

(٢) أبو زهره ص ٥١٤.

السلطة مسؤولية وليست غنيمة

هكذا كان ‹عليه السلام› يتعامل مع السلطة وينظر إليها على أساس أنها تكليف ومسؤولية وخدمة للناس ومن الصور التي تدل على ذلك:

الاهتمام بالفقراء والتفقد لأحوال الناس:

فكان ‹عليه السلام› يطعم الفقراء والمساكين ويأمر بإدخال الأيتام والمساكين عليه فيفت لهم الطعام بيده ويأكل معهم، أمر صاحب بيت المال أن يطعم الطوافين عليه من الفقراء والمساكين في الصباح والمساء، وأمر لهم بكسوة من بيت المال شتاء وصيفاً.

وكان يخرج إلى المسجد فيدور في الأسواق والطرقات، فإن وجد جداراً مائلاً أمر بإصلاحه أو طريقاً فاسداً أمر بتنظيفه وتعبيده، وإن وجد زقاقاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه بالليل للمارة والسالك إلى المسجد، ولما بلغه أن نساء البوادي يدخلن الأسواق مكشفات الوجوه، أمرهن بالحجاب واتخاذ البراقع، كما كان يراقب البائعين في السوق ويدخل يده في الطعام للتأكد من عدم غشه ويراقب الأسعار وينهى البائعين عن ظلم الناس وغشهم[1].

قال ‹عليه السلام› لأحد أتباعه وقد أرسله إلى متمردين على دولته: اذهب إليهم وذكرهم بأيام الله ونعمه عليهم، ولا يكونوا باباً للفتنة وظلم الضعفاء[2].

حدث أبو الحسن الهمداني المعروف بالحروري وكان رجلاً فقيهاً على مذهب الشافعي، تاجر جمع بين الفقه والتجارة، قال: قصدت اليمن في بعض الأوقات وحملت ما أتجر فيه إلى هناك ابتغاء لرؤية يحيى بن الحسين

---

(١) العلوي: ص ١٢٦ ، ٢٨٦.

(٢) العلوي ص٦.

لما كان يتصل بي من آثاره، فلما حصلت بصعدة حرسها الله، قلت لمن لقيته من أهلها: كيف أصل إليه ومتى أصل، وبمن أتوسل في هذا الباب؟ فقيل لي: الأمر أهون مما تقدر، تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلاة بالناس فإنه يصلي بالناس الصلوات كلها، فانتظرته حتى خرج للصلاة فصلى بالناس وصليت خلفه، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشى في المسجد إلى قوم أعلاءَ في ناحية منه فعادهم وتفقد أحوالهم بنفسه، ثم مشى في السوق وأنا أتبعه، فغير شيئاً أنكره ووعظ قوماً وزجرهم عن بعض المناكير ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره للناس فنفذت إليه وسلمت فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي، فعرَّفته أني تاجر وأني وردت ذلك المكان تبركاً بالنظر إليه وعرف أني من أهل العلم فأنس بي وكان يكرمني إذا دخلت إليه إلى أن قيل لي يوم من الأيام: إن غداً يوم المظالم وإنه يقعد فيه للنظر بين الناس فحضرت غداة هذا اليوم فشاهدت هيبةً عظيمةً، ورأيت الأمراء والقواد والرجالة وقوفاً بين يديه على مراتبهم وهو ينظر في القصص ويسمع الظلامات ويفصل الأمور فكأني شاهدت رجلاً غير من كنت شاهدته وبهرتني هيبته.

فادعى رجل على رجل حقاً فأنكره المدعى عليه وسأله البينة فأتى بها فحلَّف الشهود فتعجبت من ذلك فلما تفرق الناس دنوت منه فقلت: أيها الإمام رأيتك حلَّفت الشهود! فقال: هذا رأيي أنا أرى تحليف الشهود احتياطاً عند بعض التهمة ما تنكر في هذا؟ هو قول طاووس من التابعين وقد قال الله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ قال فاستفدت في تلك الحال منه مذهبه وقوله وقول من قال به من التابعين والدلالة عليه ولم أكن عرفت شيئاً من قبل ذلك[1].

قال: ثم أنفذ إلي يوماً من الأيام يقول: «إن كان في مالك لله حق زكاة

(١) الإفادة ص ١٤٣.

فأخرجه إلينا»، فقلت: سمعاً وطاعة، من لي بأن أخرج زكاتي إليه، وحسبت حسابي فإذا علي من الزكاة عشرة دنانير، فأنفذتها إليه. فلما كان ذات يوم بعث إلي واستدعاني فإذا هو يوم العطاء، والمال يوزن ويخرج إلى الناس، فقال: إني أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين، فقمت وقلت: الله الله أيها الإمام كأني أرتاب فيك بشيء أو أشك في فعلك. فتبسم وقال: ماذهبت إلى حيث ظننت ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك [1].

التفقد للسجون:

يقول مؤلف سيرته: كان ‹عليه السلام› - يزور السجون ويستمع إلى ظلامات المساجين، ويراقب نظافته ويأمر من كان يعرف القراءة من المساجين أن يعلم من لا يعرف ذلك ويسأل كل مسجون عن سبب سجنه، وينظر فيه.

صور من حكمه العادل

الحقيقة التي عبّر عنها الإسلامُ في قُرْآنه، عبّر عنها الأنبياءُ على مدى التَّأريخ بكله، وعبّر عنها السائرون في درب الأنبياء من المقتدين بهم والناهجين نهجهم والمهتدين بهم فإن من أساس رسالات الله سبحانه وتعالى هو إقَامَة العدل في الحياة، إصلاح هذه الحياة، إصلاح الإنْسَان بنفسه، في تزكية نفسه في أن يحمل القيم والأخلاق العظيمة، في إصلاح ممارساته في تقديم المشروع الصحيح الذي يحقق من خلاله العدل والارتقاء في واقع الحياة وفي دوره في هذه الحياة كإنْسَان.

الإمام الهادي ‹عليه السلام› انطلق من رؤية الإسلام الحقيقية والعظيمة والمهمة، فالله سبحانه وتعالى هو العدل الذي يريد لعباده العدل، والذي نهج لعبادة منهجَ العدل، هو القائم بالقسط كما قال سبحانه وتعالى ﴿شَهِدَ

(١) التاريخ الإسلامي

﴿اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]، يعني الكل شهدوا له بأنه لا إله إلا هوَ قَائماً بالقسط.

توحيد الله سبحانه وتعالى في الألوهية أنه لا إله إلا هو، يقترن مع ذلك الإيْمَان بأنه سبحانه وتعالى قائمٌ بالقسط ومن قيامه بالقسط فيما يقدّمه لعباده، فيما يعلّم به عباده، فيما يدعو إليه عباده، فيما يشرّعه لعباده، أن يكونَ كُلّ ذلك كما هو في تدبيره وفي خلقه سبحانه وتعالى، أن يكونَ كُلّ ذلك على أساس من القسط ولتحقيق العدل.

ولذلك فقد سار الإمام الهادي ‹عليه السلام› في حكم البلاد اليمنية على سنة العدل مما جعل الأهلين يرون فيه مظهراً لحكم الإسلام، ولهذا الاطمئنان إلى الحكم العادل سار جند اليمن وراءه طائعين لا كارهين؛ فأخضع أكثر اليمن لحكمه، وعمل على إقامة الحدود وقد كانت معطلة، ولم يعف منها كبيراً لكبره بل نفذها في غير هوادة ولم يجعل للحيف على نفسه إرادة، فالشريف والوضيع، والغني والفقير، أمام الحق سواء، وكان يردد قول الله سبحانه عند تنفيذ الحدود: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] وكان يقول: «والله ما هو إلا الحكم بكتاب الله تعالى أو الخروج من الإسلام، والله لو قام حد على بني القاسم لأخذته منهم»[١].

وأمر يوماً بإقامة حد الشرب على امرأة ثبت عليها الحد فقالت له: اعف عني بحق علي بن أبي طالب، فقال لها: «وحق علي بن أبي طالب لو كان الأمر لي ما ضربتك ولكنه لله تعالى» ثم قال: «والله لو وجب الحد على أبي لأخذته منه».

وقال يوماً وعنده جماعة من الناس: «لو أنه جدي القاسم بن إبراهيم ثم وجب عليه ضرب العنق ما صليت الظهر أو أضرب عنقه»[٢].

---

(١) العلوي ص ٨٢.

(٢) العلوي : ص ١٢٠.

يقول مؤلف سيرته: (وسمعته يوما يقول: «**والله لئن لم يستو لي في اليمن أمر لا رجعت إلى أهلي أو أضرب الشرق والغرب حتى أقيم لله حجته**» [1]).

يقول الدكتور عبدالفتاح شايف نعمان في كتابه الإمام الهادي[2]:

(لقد كان سلوك الإمام الهادي في جهاده ومعاركه سلوك العالم الفقيه الذي يخرج إلى الجهاد عبادةً لله وتقرباً إليه وطلباً لرضاه لذلك فقد كان دقيق الالتزام بأحكام القرآن وسنة الرسول ‹صلى الله عليه وآله وسلم› وكان التزامه هذا هو أبرز ما تميزت به معاركه سواء وهو يعبئ أصحابه لملاقاة الأعداء أو أثناء مباشرة القتل والقتال ثم بعد انتهاء المعركة وما يعقب ذلك من التصرف في الغنائم وأسرى الحرب).

ويقول بعد أن ساق نظرية الإمام الهادي ‹عليه السلام› في الإمامة والتي يقول فيها:

«**وإن الله افترض اتخاذ الإمام العادل إماماً ليؤتم به، وسمي خليفة ليخلف النبي محمداً في أعماله، وأنه من خالف حكمه حكم النبي** ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› **وفارقه فليس بإمام ولا خليفة ولكنه ظالم مبين**»[3].

ثم يعلق الدكتور قائلاً: تلك كانت صورة الإمامة عند الإمام الهادي في عالم النظريات أما في عالم الواقع فقد كانت صورة شديدة النصاعة وشديدة البريق، فلقد كان الإمام الهادي في ممارسته لسلطته كإمام وكحاكم للمسلمين من تلك النماذج الفذة في تاريخ المسلمين، وكان تجسيداً كاملاً لكل ما نادى به هو ومن سبقه من الأئمة الأبرار الذين قدموا حياتهم

---

(١) العلوي: ٥٠.

(٢) (ص ١٨٨).

(٣) المجموعة: ص ١٠٢.

الواحد تلو الآخر شهداء في سبيل العودة بدولة الإسلام إلى ما كانت عليه أيام الرسول ‹صلى الله عليه وآله وسلم›[1].

ومن كلامه ‹عليه السلام›: «والله لئن أطعتموني لا فقدتم من رسول الله إلا شخصه إن شاء الله».[2]

قربه ‹عليه السلام› من الناس

ولم يكن الإمام الهادي ‹عليه السلام› يحتجب عن الناس في بداية أمره لا ليلاً ولا نهاراً فكان يصلي بهم الصلوات في المسجد مما أطمع أعداءه فيه فدبروا مؤامرة لاغتياله في السحر وهو في طريقه إلى المسجد إلا أن سهامهم أخطأته فقال بعدها: «اللهم إني أسير فيهم كأحدهم ولا أحتجب عنهم ولا أغيِّبُ شخصي عن محاضرهم ولا أترك صلاة بهم ولا أكلهم إلى غيري، فبدأوا بالمكيدة فيَّ، وأرادوا النفس وإني ضارب الحجاب ومتحرز عنهم حتى يحكم الله بيني وبينهم»[3].

إلا أن الإمام الهادي ‹عليه السلام› لم يتخذ ذلك ذريعة لنصب الحجاب في بابه يحول بين الناس وبين الوصول إليه بل ظل شعاره دائماً: «ليس الإمام منا من احتجب عن الضعيف في وقت الحاجة الملظة[4]»[5].

وكان يقول لغلامه الذي يقف على بابه: «أوصل إليَّ كل ضعيف ولا تحرقني وتحرق نفسك بالنار، فقد فسحت الأمر من عنقي إليك»[6].

---

(١) الإمام الهادي ص ٢٠٦.
(٢) العلوي : ص ٤٩.
(٣) العلوي : ص ٣٨٧.
(٤) ملحَّة أو ملزمة.
(٥) العلوي : ٦٣.
(٦) العلوي ص : ٥٦.

يقول مؤلف سيرته: ورأيته ليلة وقد جاءه رجل ضعيف في السجن يستعدي على قوم فدق الباب فقال: من هذا يدق الباب في هذا الوقت؟ فقال له رجل كان على الباب: هذا رجل يستعدي، فقال: أدخله، فاستعدى[١]، فوجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصماءه، ثم قال: يا أبا جعفر الحمد الله الذي خصنا بنعمته، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدي إلينا في هذا الوقت، لو كان واحداً من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعد. ثم قال: (ليس الإمام منا من احتجب عن الضعيف في وقت حاجة ملظة[٢])[٣].

ويقول مصنف سيرته وأحد تلاميذه: (ورأيته يوما وقد أخذ المصحف ثم قال للناس: «**بيني وبينكم هذا آية آية فإن خالفت ما فيه بحرف فلا طاعة لي عليكم بل عليكم أن تقاتلوني أنا**».[٤]

قال أبو العباس الحسني ‹رحمه الله›: وسمعت علي بن العباس يقول: كنا عنده يوماً وقد حمي النهار وتعالا وهو يخفق برأسه، فقمنا، وقال: أدخل وأغفي غفوة. وخرجت لحاجتي وانصرفت سريعاً، وكان اجتيازي على الموضع الذي يجلس فيه للناس فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في ذلك فقال: لم أجسر على أن أنام وقلت: عسى أن ينتاب الباب مظلوم فيؤاخذني الله بحقه ووليت راجعاً كما دخلت![٥]

يقول مؤلف سيرته: (رأيته ليلة وقد صلى في المسجد ثم انصرف، فلما قرب من منزله صاحت امرأة: يا بن رسول الله إني مظلومة، فوقف يسمع كلامها، ودنت منه وكانت عجوزاً، فأومأ إليها بعض غلمانه يبعدونها، فقال

---

(١) استعداه: استعان به، والاستعداء: طلب المعونة والانتقام.

(٢) ملحة أو ملزمة.

(٣) العلوي ص ٦٢ .

(٤) العلوي ص ٥١.

(٥) الإفادة ١٤٢.

له يحيى بن الحسين: «ذرها سبحان الله ما أنت إلا جبار»! ثم صاح بأبي جعفر محمد بن سليمان - فقال له: انظر في أمر هذه المرأة فأنصفها من خصمها، فمضى معها أبو جعفر، فصار الهادي إلى الحق إلى داره ونحن معه، ثم جلس فصاح بغلام كان يجلس على الباب فقال له: «ألم أقل لك أوصل إلي كل ضعيف ويحك أنتم مسلمون؟! أوصل إلي كل ضعيف لا يصل إلا بكم»، ثم قال: «اللهم إنك تعلم لولا ما أخاف من فساد الإسلام ما صلى بهم غيري، ولا كنت أكون نهاري إلا معهم: أدور في أسواقهم، وأصل بنفسي أمورهم ولكني أخاف أكثر عليهم فأقل في أعينهم، وإذا كنت كذلك عندهم استخفوا بالحق، فإذا فعلوا ذلك استأنفت ما كنت قد أصلحته لأن أكثر الناس في هذا العصر لا يعقلون»[1]

من صور التسامح التي عرف بها الإمام الهادي ‹عليه السلام›

من ذلك أنه عندما بلغه تمرد أهل صنعاء على عامله بها، ونهبهم كل ما عندهم من الأمتعة والدواب - وكان في شبام - دعا من كان في سجنه من آل يعفر وآل طريف، فأطلقهم ومنَّ عليهم، وكان مما قاله لهم: «وهبت لكم نفوسكم فاتقوا الله في سركم وعلانيتكم».

وأراد الرحيل إلى صعدة فلحقه أهل شبام وأرادوا قتله فهزمهم وأمن مكرهم، واستقر الإمام ‹عليه السلام› في ريدة وفيها وفد عليه أخوه عبدالله بن الحسين من الحجاز ومعه ثمانون رجلاً من المضريين.

وعلم الإمام الهادي ‹عليه السلام› بأن آل يعفر جمعوا قواتهم وفرسانهم واحتلوا صنعاء فتوجه إلى صنعاء ومعه أبو العتاهية وأنصار الإمام ‹عليه السلام›، والمهاجرون من الطبريين والمضريين، وهزم الإمام الهادي ‹عليه السلام› بني يعفر ودخل صنعاء، وعفا عنهم، وقال لهم في خطبة الجمعة:

---

(١) العلوي ص ٥٥.

«أيها الناس ما نقمتم علي إلا ما حكى الله في كتابه عن قوم لوط في قولهم: ﴿أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦] ولكنني أقول لكم كما قال عمي يوسف ‹عليه السلام›: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف:٩٢]».

ثم بقي ‹عليه السلام› في صنعاء سنة كاملة يعلمهم ويرشدهم ويدرأ عنهم الأخطار ثم احتاج جيشه للمال، ولم يجد ماينفق عليه، فطلب قرضاً من أعيان صنعاء فلم يقرضوه درهماً واحداً، فخرج ‹عليه السلام› مع أصحابه إلى صعدة، وقال لهم عند خروجه: «والله لتمنونني، وليضربنكم الله بلباس من الجوع، والخوف، ولتباعن نساؤكم بالدينار والدينارين والثلاثة جزاء من الله على فعلكم وصنعكم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

فلم تمض إلا فترة حتى دخل علي بن الفضل صنعاء - وكان قد اتخذ من مدينة المذيخرة[1] عاصمة لملكه - وفعل الأفاعيل في صنعاء، فادعى النبوة، وأحل نكاح البنات والأمهات والأولاد، وارتكب جميع المحرمات، وارتقى جامع صنعاء وخطب فيهم خطبته الشنيعة التي هدم فيها أركان الدين، ولقي أهل صنعاء منهم الكثير فلم يجدوا إلا الإمام الهادي ‹عليه السلام› فاستغاثوا به لجهاد القرامطة. فضرب ‹عليه السلام› أروع صور الصفح والتسامح معهم وهب لنجدتهم وإنقاذهم، وتوجه لجهاد القرامطة وأخرجهم من صنعاء وكان له معهم أكثر من نيف وسبعين وقعة انتصر فيها عليهم.

كراهته ‹عليه السلام› للظلم والظالمين

الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فيما تضمنته الآياتُ القُرْآنية كان له الموقفُ واضح تماماً من الظلم والظالمين، الله سبحانه وتعالى توعد الظالمين بالعذاب، الله سبحانه وتعالى أمر عبادَه بجهاد الظالمين

(١) مذيخرة: هي مديرية من مديريات محافظة إب.

والثورة على الظالمين والوقوف ضد المستكبرين، والله سبحانه وتعالى مقت الظالمين وتهددهم وتوعّدهم ولعنهم، الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨]، وقال سبحانه وتعالى يحكي عن واقع الظالمين يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[غافر:٥٢]، الله سبحانه وتعالى أكد في كتابه الكريم أن لا شرعية دينية أبداً في الحكم والسلطة للظالمين الجائرين المستكبرين الطغاة وقال تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

وهكذا آيات كثيرة تحذر من الظالمين، تلعن الظالمين، فالقرآن اتخذ موقفاً حاسماً يجبُ أن يتبنّاه مَن ينتمي إلى هذا الإسلام، من يتثقف بثقافة القُرْآن، من ينهج نهجَ نبي الإسلام ويقتدي به، أن يحمل هذه الروحية، أن يتبنّى هذا الموقف، أن يسلك هذا الطريق في الموقف الحازم والصارم من الظالمين، وأن يعيَ حقيقة الجائرين والظالمين والطغاة والمستكبرين وخطورتهم في واقع الحياة وما يمسون به واقع الحياة من شر وظلم وإفساد وطغيان وتخريب لسعادة الإنْسَان ولواقع الحياة، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى الميلة للجائرين والطغاة والظالمين المفسدين والمناصرة لهم والوقوف بصفهم من أكبر الذنوب وأعظم الجرائم التي تسبب سخط الله تعالى، أن الله يسخط سخطاً عظيماً على من يقف مع الظالمين ومع الجائرين، على من يناصر الطغاة أنه يوقع نفسه في سخط من الله سبحانه وتعالى ويتَحَرّك في حالة الانحراف الحقيقي عن منهج الإسلام عن مبادئ الإسلام عن حقيقة وجوهر قيم وأخلاق الإسلام العظيم.

لقد كان الإمام الهادي ‹عليه السلام› بقدر حرصه على إقامة العدل فقد كان يكره الظلم والظالمين ولا يجيز التعامل معهم بأي حال ومن تصريحاته القوية: «**لا تحل مكاتبة الظالمين ولا تحل مؤانستهم بكتاب ولا غيره للمؤمنين لأن في المكاتبة لهم تطميناً وتحنناً إليهم وما تدعو المودة**

بينهم، وقد قال الله سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢] إلى آخر السورة... ولا يركن إليه بمكاتبته في شيء من أمره، فإن الله يقول: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]»، قال يحيى بن الحسين ‹رضي الله عنه›: «من أخاف ظالماً جائراً غاشماً في دنياه أمنه الله يوم الروع في آخرته»، قال: «والذي نفس يحيى بن الحسين بيده ما يسرني أني أمنت الظالمين وأمنوني ليلة واحدة، وأن لي ما طلعت عليه الشمس، لأن ذلك – لو كان – ركوناً إليهم وموالاة لهم وقد حرم الله ذلك على المؤمنين»، قال: «وبلغنا عن بعض السلف أنه قال: من بات منهم خائفاً وباتوا منه خائفين وجبت له الجنة»[1].

وقال ‹عليه السلام›: «من أعان ظالماً ولو بخط حرف أو برفع دواة ووضعها، ولم يكن اضطرته على ذلك مخافة على نفسه، لقي الله يوم القيامة وهو معرض عنه غضبان عليه، ومن غضب الله عليه فالنار مأواه والجحيم مثواه، بل أقول: أنه لا يجوز معاونة ظالم، ولا معاضدته، ولا منفعته ولا خدمته كائناً من كان، من آل رسول الله أو من غيرهم، كل ظالم ملعون، وكل معين لظالم ملعون، وفي ذلك ما بلغنا عن رسول الله ‹صلى الله عليه وآله وسلم› أنه قال: «من جبا درهماً لإمام جائر كبه الله في النار على منخريه» وفي ذلك ما يقال: «إن المعين للظالم كالمعين لفرعون على موسى... إلخ».[2]

وما أحوج أُمّتنا إلى هذه الثقافة وإلى الوعي بهذه الحقائق؛ لأن غياب الوعي بهذه الحقائق وبأهمية هذه المبادئ كمبادئ أساسية في دين الله تعالى جعل الكثير من المنتمين للإسلام لا يتورعون ولا يتحاشون أن

---

(١) الأحكام ج٢: ٤٧٨، ٤٧٩.

(٢) مقدمة كتاب الإمام الهادي ص ٤٥.

ينصروا الظالمين والطغاة أن يقفوا في صف الطغيان وفي صف الاستكبار ومع المجرمين مهما كانت جرائمهم ومهما كانت بشائعهم في هذه الحياة وفظائعهم الذي يسوّدون بها وجه التّأريخ.

إن الله سبحانه وتعالى وجّه خطاباً مهماً، قال عنه المحدثون فيما رووه وقال عنه المؤخرون والكاتبون للسّيَر فيما نقلوه أنه من أهمّ ما كان مؤثراً في وجدان النبي صلوات الله عليه وعلى آله، لدرجة أن البعضَ نقل أنه كَثُرَ الشيب في شَعَر رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، حينما نزلت تلك الآية القُرْآنية المباركة وذلك الخطاب الرباني الذي وجّهه الله إلى رسوله وإلى الأُمّة كلها إلى كُلّ السائرين في هذا النهج إلى كُلّ المنتمين لهذا الإسلام لهذا الدين، للذين يعتبرون أنفسهم مؤمنين بالنبي وبالقُرْآن، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]، هذا الخطاب العظيم هذا الخطاب المهم الذي يجعل الركون إلى الظالمين، والركون - كما يقول المفسرون – هو: الميل اليسير.. يعني حينما تميل إلى الظالمين ولو ميلاً يسيراً، ما بالك أن تقف في خطهم في صفهم، أن تناصرهم، أن تتَحَرّك تحت رايتهم، أن تقاتل معهم، أن تتَحَرّك إعلامياً معهم، أن تؤيدهم في ظلمهم وجبروتهم وطغيانهم وما يعملونه بحق الأُمّة، الركون وهو الميل اليسير يعتبر سبباً كبيراً لسخط الله سبحانه وتعالى، ووعيد الله عليه بالنار ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، تصبحون إلى جهنم والعياذ بالله، فالانخراط في صف الطغاة، الميل إلى الظالمين، النصرة للمستكبرين، التأييد للطغاة هو انحراف خطير يودي بالإنْسَان إلى جهنم، حينها لا تنفعك صلاتك ولا ينفعك صيامك ولا ينفعك حجك ولا تنفعك زكاتك ولا صدقاتك ولا ينفعك أي عمل.. أن تكون مع هذا الانحراف أن تكونَ مع الظالمين بكل ما يعملون حينها أنت تسيء إلى الله

سبحانه وتعالى، أنت تنظر إلى قدسية الله سبحانه وتعالى وإلى الله سبحانه وتعالى وكأنه ساذج، يكفيه أن تخادعَه ببعض من العبادات ثم تسِيء إلى أنه القائم بالقسط الذي لا يريد الظلم لعبادِه هو القائل: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:١٠٨]، والقائل ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[غافر:٣١]، وذلك حينما نرى البعضَ من المنتمين إلى الإسلام على مستوى بعض الأنظمة والحكام، ومن مصاديقها الواقعية وأمثلتها العجيبة الغريبة النظام السعودي الذي يتمظهر بالتدين والتأسلم ويقدم نفسَه بلباس ديني وثوب ديني مع أنه يسيء أكبر الإساءة إلى الإسلام إلى نبي الله، يسيء إلى القُرْآن الكريم إلى سنة رسول الله يخالف منهج الله تعالى يخالف الإسلام يخالف القُرْآن في مسألة من أهمّ المسائل مسألة لا يمكن أن يتغاضى الله عنها وأن يتجاهلها الله؛ لأنها من المبادئ الأساسية والرئيسية في دين الله سبحانه وتعالى، فيقف مع إسرائيل ويتحالف مع إسرائيل ويناصر إسرائيل ويجعل من نفسه عبداً خادماً مذعناً طيعاً لأمريكا ثم يمارس ضمن هذا الدور في خدمته لإسرائيل وفي عبوديته لأمريكا يمارس الظلم بأبشع أشكال وأنْوَاع الظلم بحق أبناء المنطقة وبحق شعبنا اليمني العزيز، ومع هذا يتظاهر بأنه المتدين وأنه يلتزم بشكليات معينة وطقوس معينة من الدين الإسلامي.

●●●

مقتطفات من منهجيته ‹عليه السلام›

عندما نتأمل المنهجية التي تحرك على أساسها الشهيد القائد رضوان الله عليه والتي استغربها الكثير فإننا نستطيع بأن نقول بأنه لم يحد قيد أنملة عما قدمه أعلام أهل البيت ‹عليهم السلام› وبالذات القدماء منهم وعلى وجه الخصوص الإمام الهادي ‹عليه السلام›

ونحن هنا سنورد نموذجين مما ورد في دروس السيد حسين رضوان الله عليه والتي عدها قاصري الوعي أنها أشياء جديدة على نهج البيت ‹عليهم السلام› والتي تبين الانسجام الكامل بين السيد حسين رضوان الله عليه والإمام الهادي ‹عليه السلام› وغيرهم من أعلام العترة الطاهرة.

١. كيف هي سنة الله في اختيار أعلام الهدى؟

عند حديث الشهيد القائد رضوان الله عليه عن سنة الله سبحانه وتعالى في مسألة اختيار أعلام وهداة للأمة وعن دورهم وأهميتهم وأن الأمة لا يمكن أن تهتدي إلا على أيدي أعلام من أهل بيت رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله وسلم› وأنهم يجب أن يكونوا كاملين وأن الله هو من يختارهم ويصطفيهم ويؤهلهم وفق معايير يضعها هو سبحانه وتعالى وأنهم يجب أن يكونوا قائمين بالحق وبه يعدلون، استغرب البعض من مثل هذا الطرح بينما هو نفس ما طرحه الإمام الهادي ‹عليه السلام› وما كان معروفاً عند أهل البيت ‹عليهم السلام›.

ماذا يقول الإمام الهادي ‹عليه السلام› حول هذه السنة الإلهية؟

عندما نأتي إلى ما قاله الإمام الهادي ‹عليه السلام› نجد انسجاماً كاملاً بين ما قاله الشهيد القائد وبين ما قاله الإمام الهادي فهذا هو الإمام الهادي ‹عليه السلام› يقول في مقدمة كتاب الأحكام بعد حديثه عن ولاية الحسن والحسين عليهما السلام:

(وأن الامام من بعدهما من ذريتهما من سار بسيرتهما، وكان مثلهما، واحتذا بحذوهما فكان ورعا تقياً، صحيحاً نقياً، وفي أمر الله سبحانه جاهداً، وفي حطام الدنيا زاهداً، وكان فهما بما يحتاج إليه، عالماً بتفسير ما يرد عليه.

شجاعاً كمياً، بذولاً سخياً، رؤوفاً بالرعية رحيماً، متعطفاً متحنناً حليماً، مواسياً لهم بنفسه، مشركاً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم، ولا حاكم بغير حكم الله فيهم، قائماً شاهراً لسيفه، داعياً إلى ربه، رافعاً لرايته، مجتهداً في دعوته، مفرقاً للدعاة في البلاد، غير مقصر في تألف العباد، مخيفا للظالمين، ومؤمنا للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين ولا يأمنونه، بل يطلبهم ويطلبونه، قد باينهم وباينوه، وناصبهم وناصبوه، فهم له خائفون، وعلى إهلاكه جاهدون.

يبغيهم الغوائل، ويدعو إلى جهادهم القبائل، متشرداً عنهم، خائفاً منهم، لا يردعه عن أمر الله رادع، ولا تهوله الأخواف، ولا يمنعه عن الجهاد عليهم كثرة الإرجاف، شمري مشمر[1]، مجتهد غير مقصر.

فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين، فهو الامام المفترضة طاعته، الواجبة على الامة نصرته، ومن قصر عن ذلك ولم ينصب نفسه لله، ويشهر سيفه له، ويباين الظالمين ويباينوه، ويبين أمره، ويرفع رايته، ليكمل الحجة لربه على جميع بريته، بما يظهر لهم من حسن سيرته، وظاهر ما يبدو لهم من سريرته، فتجب طاعته على الامة والمهاجرة إليه والمصابرة معه ولديه، فمن فعل ذلك من الأمة معه من بعد أن قد أبان لهم صاحبهم نفسه، وقصد ربه وشهر سيفه، وكشف بالمباينة للظالمين رأسه، فقد أدى إلى الله فرضه، ومن قصر في ذلك كانت الحجة عليه لله قائمة ساطعة منيرة بينه قاطعة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

---

(١) شمري مشمر (بتشديد الميم): جاد تحرير ماض في الأمور.

إلى أن يقول:

فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين، فهو إمام لجميع المسلمين لا يسعهم عصيانه، ولا يحل لهم خذلانه، بل يجب عليهم طاعته وموالاته، ويعذب الله من خذله، ويثيب من نصره، ويتولى من تولاه، ويعادي من عاداه.

ثم يتحدث عمن يدعون بالزور والبهتان أنهم القادة والأعلام وورثة الكتاب وهو من القاعدين النيام فيقول:

فأما من عبث بنفسه وتمنى، وإقام في أهله وولده وتلهى، وساير الظالمين وداجاهم، وقضوا حوائجه، وقضى حوائجهم، وعاشروهم، وعاشرهم، وأمنوه وأمنهم، وكفوا عنه وكف عنهم، وغمد سيفه وطوى رايته، وستر منهم نفسه، وموه على الجهال، وأهل الغفلة من الضلال، وادعى الامامة، ووهمهم أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعدين النيام، ذوي الفترة والوناء، طلاب الراحة والرخاء.

وهو يظهر للرعية ويعرض لهم، ويدخل قلوبهم أنه قائم غير قاعد، وأنه مباين للظالمين مجاهد، يوهمهم ذلك ويعرض لهم أنه كذلك، ليحتلب من درهم حلباً وخيماً دوياً، ويأكل بذلك من أموالهم حراماً دنياً، قد لبس عليهم أمورهم بتمويهه عليهم، وقعد لهم بطريق رشدهم، يصدهم بتمويهه عن ربهم، ويمنعهم بتلبيسه عليهم من أداء فرضهم، والقيام بما يجب لخالقهم.

فهو دائب في التحيل لأكل أموالهم بما يلبس عليهم من أحوالهم، وتمويهه لجاهلهم أنه قائم غير قائد، وأنه أحد يوميه ناهض على الظالمين مجاهد، والله يعلم من سرائره وباطن أمره غير ما يوهم الجاهلين، ويكتبه بذلك عنده أنه من الصادين عن سبيله، الذين يبغونها عوجا، فهو يهلك نفسه عند ربه بفعله وفعل غيره، ويفرق عن الحق والمحقين الانام، ويجمع بذلك عليه الآثام، ويمكن بذلك دعوة الظالمين، ويقيم عمد ملك الفاسقين

ويوهن دعوة الحق والمحقين بما يموه به على الجاهلين للترؤس عليهم، ولأكل أوساخ أيديهم.

يأكل سحتاً تافهاً حراماً، ويجترم العظائم بالصد عن الله العظيم اجتراماً، يفرق كلمة المؤمنين ويشتت رأي المسلمين، ولا يألوا الحق خبالاً.

يتأول في ذلك التأويلات ويتقحم على الله فيه بالقحمَّات ضميره إذا رجع إلى نفسه، وناقشها في كل فعله، وأوقفها على على خفي سره، مخالف لظاهره وفعاله في باطنه فغير ما يبديه الناس في ظاهره، يخادع اللهِ والذين آمنوا وما يخادع إلا نفسه، كما قال الله تعالى، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ • فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:٩ - ١٠].

كأن لم يسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الملك:١٣] فهو يمكر بالله وبالمؤمنين، والله يمكر به وهو خير الماكرين.

فهو في بلية من نفسه، من تحيله لديناره ودرهمه، والاستدامة لما هو فيه من تافه نعمته، يلبس الحرير والديباج والقز، ويلتحف ويفترش السمور والفتك والخز، لا يرتمض في أمور الله، ولا يصلح شأن عباد الله، فأين من كان كذلك، فقط من الامامة. كلا لعمره أنه عنها لبعيد مجنب، ومنها غير دان ولا مقرب، وان لعب بنفسه، وخدع من كان من شكله بزخرف قوله وكذبه واجترائه على الله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٦٩]. فلعمري إن من كان كذلك فقط لبعيد عما يدعي وينتحل مما لم يجعله الله له أهلا، ولم يشرع له إليه سبيلا.

ويقول ‹عليه السلام› في كتاب القياس متحدثاً عن من يصطفهم الله ويؤهلهم ليكونوا هم مصادر الهداية لعباده:

(ثم اعلم أيها السائل علماً يقيناً، وافهم فهماً ثابتاً مبيناً، أن العلماء تتفاضل في علمها، وتتفاوت في قياسها وفهمها، وفيما قلنا به من ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦]، وأنه ليس أحد من المخلوقين أولى بفهم أحكام رب العالمين، ممن اختاره الله واصطفاه وانتجبه وارتضاه، فجعله مؤديًا لدينه، قائماً بحكمه، داعياً لبريته، حائطاً لخليقته، منفذاً لإرادته، داعياً إلى حجته، مبيناً لشريعته، آمراً بأمره، ناهياً عن نهيه، مقدماً لطاعته، راضياً لرضاه، ساخطاً لسخطه، إمامًا لخليقته، هاديًا لها إلى سبيله، داعياً لها إلى نجاتها، مخرجًا لها من عمايتها، مثبتاً لها على رشدها، مقيماً لها على جواد سبلها، ناصحاً لله فيها، قائماً بحقه سبحانه عليها.

وذلك وأولئك فهم صفوة الله من خلقه، وخيرته من بريته، وخلفاؤه في أرضه، الأئمة الهادون، والقادة المرشدون، من أهل بيت محمد المصطفى، وعترة المرتضى، ونخبة العلي الأعلى، المجاهدون للظالمين، والمنابذون للفاسقين، والمقربون للمؤمنين، والمباعدون للعاصين، ثمال كل ثمال[1]، وتمام كل حال، الوسيلة إلى الجنان، والسبب إلى الرضاء من الله والرضوان، بذلوا أنفسهم للرحمن، وأحيوا شرائع الدين والإيمان، لم يهنوا ولم يفتروا، ولم يقصروا في طلب ثار الإسلام ولم يغفلوا، نصحوا المسلمين، واحبوا المؤمنين، وقتلوا الفاسقين، ونابذوا العاصين، وبينوا حجج رب العالمين على جميع المربوبين.

إلى أن يقول:

(وكل ذلك أمرٌ من الله سبحانه للأمة برشدها، ودلالةٌ منه على أفضل أبواب نجاتها؛ فإن اتبعت أمره رشدت، وإن قبلت دلالته اهتدت، وإن خالفت عن ذلك غوت، ثم ضلت وأضلت، وهلكت وأهلكت، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم.

---

(١) الثمال (بكسر الثاء): الغياث. وفلان ثمال قومه: أي غياث لهم يقوم بأمرهم.

وفي أمر الأمة باتباع ذرية المصطفى، ما يقول النبي المرتضى: **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا، حتى يردا علي الحوض»**.

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم في تفضيلهم، والدلالة على اتباعهم، وما فضلهم الله به على غيرهم: **«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض، أتى أهل الأرض ما يوعدون»**.

وفيما ذكرنا من أمرهم ما يقول صلى الله عليه وآله وسلم: **«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»**.

وهذا ومثله فكثير عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيهم يفهمه من روى عنه ‹عليه السلام› ونحن نستغني بقليل ذكره عن كثيره).

٢. هل هناك خلاف بين أعلام أهل البيت ‹عليهم السلام›؟

الشهيد القائد رضوان الله عليه يؤكد بأنه لم ولن يحصل أي خلاف بين أعلام أهل البيت ‹عليهم السلام› الذين هم مصادر للهداية؛ لأنهم يأخذون علمهم من مصدر واحد يوصلهم بالله سبحانه وتعالى ويؤكد بأن ما ورد من بعض المسائل التي يقدمها البعض كمسائل حصل فيها خلاف بين أعلام الهدى مرده إما خطأ في النقل عن الأعلام أو عدم فهم للوضعيات التي يتم فيها إنزال الحكم الشرعي في المسألة، أو خلاف من علماء تأثروا بثقافات من خارج الثقلين وقُدِّمُوا لنا أئمة حكموا وهم لا يرقون إلى مستوى أن يكونوا أعلام هداية، وأن القرآن الكريم هو من سيبين لنا منهم أعلام الهدى الورثة الحقيقيون على قاعدة حددها الإمام الهادي نفسه عندما قال: (العترة تدل على القرآن والقرآن يدل على العترة) .

فماذا يقول الإمام الهادي ‹عليه السلام› حول الاختلاف بين الأعلام ومن هم الأعلام الذين أمرنا الله باتباعهم من آل رسول الله ‹صلى الله عليه وعليهم›؟

يقول الإمام الهادي ‹عليه السلام› في كتاب القياس:

ثم اعلم من بعد كل علم ومن قبله، وعند استعمالك لعقلك في فهمه، أن الذين أمرنا باتباعهم من آل رسول الله، وحُضضنا على التعلم منهم، وذُكرنا ما ذكرنا من أمر الله برد الأمور اليهم، هم الذين احتذوا بكتاب الله من آل رسول الله، واقتدوا بسنة رسول الله، الذين اقتبسوا علمهم من علم آبائهم وأجدادهم، جداً عن جد، وأباً عن أب، حتى انتهوا إلى مدينة العلم، وحصن الحلم، الصادق المصدَّق، الأمين الموفق، الطاهر المطهر، المطاع عند الله المقدر، محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›.

فمن كان علمه من آل رسول الله على ما ذكرنا، منقولاً إلى آبائه مقتبساً من أجداده، لم يزغ عنهم، ولم يقصد إلى غيرهم، ولم يتعلم من سواهم؛ فعلمه ثابت صحيح، لا يدخله فساد ولا زيغ، ولا يحول أبداً عن الهدى والرشاد، ولا يدخله اختلاف، ولا يفارق الصحة والائتلاف.

سبب الخلاف الحاصل بين علماء أهل البيت ‹عليهم السلام›

فإن قلت: أيها السائل قد نجد علماء كثيراً منهم ممن ينسب إليه علمهم، مختلفين في بعض أقاويلهم، مفترقين في بعض مذاهبهم، فكيف العمل في افتراقهم، وإلى من يلجأ منهم؟ وكيف نعمل باختلافهم وقد حضضتنا عليهم، وأعلمتنا أن كل خير لديهم، وإن الفرقة التي وقعت بين الأمة هي من أجل مفارقة الأئمة من آل رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›؟

قلنا لك: قد تقدم بعض ما ذكرنا لك في أول هذا الكلام، ونحن نشرح لك ذلك بأتم التمام.

إن اختلاف آل الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› - أيها السائل عن أخبارهم - لم يقع ولا يقع أبداً إلا من وجهين: فأما أحدهما: فمن طريق

النسيان للشيء بعد الشيء، والغلط في الرواية والنقل، وهذا أمر يسير حقير قليل، يرجع الناسي منهم عن نسيانه، إلى القول الثابت المذكور له عند الملاقاة والمناظرة.

والمعنى الثاني: فهو أكبر الأمرين وأعظمهما، وأجلهما خطراً وأصعبهما، وهو أن يكون بعض من يؤثر عنه العلم تعلم من غير علم آبائه، واقتبس علمه من غير أجداده، ولم يستنر بنور الحكمة من علمهم، ولم يستضيء عند إظلام الأقاويل بنورهم، ولم يعتمد عند تشابه الأمور على فقههم، بل جنب منهم إلى غيرهم، واقتبس ما هو في يده من علمه من أضدادهم، فصار علمه لعلم غيرهم مشابهاً، وصار قوله لقولهم ‹صلوات الله عليهم› مجانباً، إذ علمه من غيرهم اقتبسه، وفهمه من غير زنادهم ازدنده، فاشتبه أمره وأمر غيرهم، وكان علمه كعلم الذين تعلم من علمهم، وقوله كقول من نظر في قوله، وضوء نوره كضوء العلم الذي في يده، وكان هو ومن اقتبس منه سواءً في المخالفة لأهل بيت رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› والاقتداء، وإن كان منهم في نَسَبِه فليس علمهم كعلمه، ولا رأيهم فيما اختلف فيه الحكم كرأيه.

والحجة على من خالف الأصل من آل رسول الله، كالحجة على غيرهم من سائر عباد الله، ممن خالف الأصول المؤصلة، وجنب عنها.

والأصل الذي يثبت علم من اتبعه، ويبين قول من قال به، ويصح قياس من قاس عليه، ويجوز الاقتداء لمن اقتدى به؛ فهو كتاب الله تبارك وتعالى المحكم، وسنة رسول الله، اللذان جُعلا لكل قول ميزاناً، ولكل نور وحق برهاناً، لا يضل من اتبعهما، ولا يغوى من قصدهما، حجة الله القائمة، ونعمته الدائمة. فمن اتبعهما في حكمهما، واقتدى في كل أمر بقدوهما، وكان قوله بقولهما، وحكمه في كل نازلة بهما، دون غيرهما فهو المصيب في قوله، المعتمد عليه في علمه، القاهر لغيره في قوله، الواجب على جميع

المسلمين من آل رسول الله ومن غيرهم أن يرجعوا إلى قوله، ويتبعوا من كان كذلك في علمه؛ لأنه على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا دخل، ولله الحمد عليه.

فمن كان على ما ذكرنا، وكان فيه ما شرحنا، من الاعتماد على الكتاب والسنة، والاقتباس منهما والاحتجاج بهما، وكانا شاهدين له على قوله، ناطقين بصوابه، حجة له في مذهبه، فواجب على كل أحد أن يقتدي به، ويرجع إلى حكمه.

فإذا جاء شيء مما يختلف فيه آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ميَّز الناظر المميز السامع لذلك بين أقاويلهم؛ فمن وجد قوله متبعاً للكتاب والسنة، وكان الكتاب والسنة شاهدين له بالتصديق؛ فهو على الحق دون غيره، وهو المتبع لا سواه، الناطق بالصواب، المتبع لعلم آبائه في كل الأسباب.

وإن ادّعى أحد من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه على علم رسول الله، وأنه مقتد بأمير المؤمنين، والحسن والحسين ‹صلوات الله عليهم›، فاعلم هديت أن علم آل رسول الله لا يخالف علم رسول الله، وأن علم رسول الله لا يخالف أمر الله ووحيه، فاعرض قول من ادّعى ذلك على الكتاب والسنة؛ فإن وافقهما ووافقاه فهو من رسول الله، وإن خالفهما وخالفاه فليس منه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›، وكما قال فيما روينا عنه، حين يقول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› قال: «**إنه سيكذب علي كما قد كذب على الأنبياء من قبلي؛ فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب الله فليس مني ولم أقله**».

وهذا أصل في اختلاف آل رسول الله ثابت، ودليل على الحق صحيح، فاعتمد فيما اختلفوا فيه عليه، واستعمله في ذلك يبن لك الحق حيث هو، ويصح لك المقتبس من علم آبائه ‹صلوات الله عليهم›، والمقتبس من غيرهم،

وتصح لك الحجة في جميع أقوالهم، وتهتدي به إلى موضع نجاتك، وتستدل به على مكان حياتك، وتقف به على الذين أمرناك باتباعهم بأعيانهم، فقد شرحنا لك شرحاً واضحاً، وبيناهم لك تبياناً صحيحاً، حتى عرفتهم إن استعملت لبك بما بينا لك من صفاتهم، كما تعرفهم بالرؤية بأعيانهم، وتقف عليهم بأساميهم وأنسابهم.

●●●

مقتطفات من كلامه (عليه السلام)

١- قال (عليه السلام): «أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية لله الورع، وفرع الورع الدين ونظام الدين محاسبة النفس، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله».

٢- النعمة لا تتم لمن رزقها إلا بشكر موليها، ومن أغفل شكر الإحسان فقد استدعى لنفسه الحرمان، ومن أراد أن لا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر الله.

٣- حصن الرأي التأني، وآفته العجلة، إلا عند بيان الفرصة.

٤- من أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، ثم ليعلم أن له عند الله مثل ما لله عنده قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] الآية.

٥- من فكر في عواقب فعله نجا من موبقات عمله.

٦- من خضع لله فقد لبس ثوب الإيمان ومن لبس ثوب الإيمان فقد تتوج بتاج العزة من الرحمن، فالله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

٧- من نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه، فقد أمكن الناس من الطعن عليه.

٨- دواء الخوف من عذاب الله العمل بطاعة الله، والترك لمعاصيه، وحسن الأوبة إليه عز وجل.

٩- ومن رغب في الله اتصل به، وانقطع على الحقيقة إليه، ومن لم يهتد إلى أفضل العبادة وأسناها فليقصد لمخالفة النفس في هواها.

١٠- من اشتدت رغبته في الدنيا طلب لنفسه التأويلات وتقحم بلا شك في المهلكات وكان عند الله من أهل الخطيئات، وصاحب الدنيا الراغب فيها

كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبداً، ولا يخلو فكره من الهم أصلاً ولو أعطي منها كل العطا.[1].

من شعره ‹عليه السلام›

صعب الزمان علي فاستصعبت إذ
صعب الزمان وليس مثلي يخضع
للدهر لو خضع الأنام بأسرهم
إن الكريم مصمم لا يجزع
إني لهذا الدهر قرن قاهر
لا أستقيد له ولا أتضعضع
رام الزمان تضعضعي فمنعته
ذاك المرام وخاذلي يتوضع
صبر الزمان علي إذ صابرته
حتى بدت فيه الملالة تسطع
والصبر مني ثابت متجدد
ما إن خشعت وما لمثلي يخشع
والله ربي والنبي فوالدي
والله يحفظني وعني يدفع[2]

وقال ‹عليه السلام›:

نفى النوم عن عينيَّ همٌ مضاجع
وخطب جليل فهو للنوم مانع

---

(١) الحدائق ج٢ : ص ٢٥ ، ٢٦.
(٢) العلوي : ص ١٩١.

وأرقـــنـــي ألاّ صـــديـــق ولا أخ
يـشـاركـنـي فـي مـا تـحـن الأضـالـع
أفـكـر فـي الـدنـيـا وتـافـه شـأنـهـا
كـمـا طـال فـكـري والـعـيـون هـواجـع
سبتهم بحسن الـذوق مـن شهواتها
فـكـل لـهـا إلـــفٌ مـحـب مـطـاوع
يـوفـر مـا قـد نـال مـن فضلاتها
ويـدخـر لـلـوراث مـا هـو جـامـع
ويـبـخـل عـن تـقـديـم خـيـر لـنفسه
ويـجـزع عـن إخـراجـه ويـدافـع
ويـمـنـعـه الـتـسـويف عـن بـاب رشـده
ويـعـجـل فـيـمـا ضـره ويـسـارع[1]

●●●

(١) العلوي: ص ٣٠١.

من أقوال العلماء واعترافاتهم بمكانته وثناؤهم عليه

١- قال عنه الإمام الناصر الأطروش ‹عليه السلام›: (ذاك والله من أئمة الهدى) ولما بلغه وفاة الإمام الهادي ‹عليه السلام› بكى بنحيب ونشيج وقال: (اليوم انهدَّ ركن الإسلام)[١].

٢- وقال عنه الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري (ت ٨٩٢هـ): (كان مجيئه إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً وجرى له معهم نيف وثمانون موقعة لم ينهزم في شيء منها وكان له علم واسع وشجاعة خارقة وقد أقام على الجهاد ثماني عشرة سنة). وقال عنه: (الإمام الفاضل الكامل الصالح المصلح يعرف بالهادي إلى الحق كان خروجه إلى اليمن وظهور شوكته بها بعد أن استدعاه واليها (أبو العتاهية) وبايعه هو وأهل مملكته، ومن مصنفاته كتاب الأحكام جمع فيه فأوعى، وصنف في الشرائع والأديان وعظمت فضائله، ومات بصعدة بعد أن مهد البلاد وقوم أودها)[٢]

٣- وقال عنه الحاكم الجشمي: (وكان ‹عليه السلام› – أي الهادي – جامعا لشروط الإمامة ويضرب به المثل في الشجاعة، وابتلى بحرب القرامطة، وكان له معهم ثلاث وسبعون واقعة)[٣].

٤- وقال عنه المحلي في الحدائق الوردية: (قد نشأ على العلم والعبادة حتى صار بمنزلة الطبع، ونال من العلم ما لم نعلم أن أحداً من المشهورين أدركه في وقت إدراكه، وكان بالورع والزهد والعبادة إلى حد تقصر العبارة دونه والفهم عن الإحاطة به وظهور ذلك يكفي عن تكلف بيانه، وكان

(١) الحدائق: ج ٢، ص ١٦.
(٢) الإمام الهادي: ص ٩٣.
(٣) البحر الزخار ج ١، ص ٢٨٨.

صواماً قواماً يصوم أكثر أيامه ويحيي أكثر لياليه، وكان إذا التقت الأبطال وتداعت نزال الفيته القطب يدور عليه رحى القتال)[1].

٥- وقال عنه السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة في عصره (ت ١٣٠٤ هـ): الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بويع له في اليمن وكان إماماً عالماً وله تصانيف في الفقه وخطب له بمكة سبع سنين وتوفي باليمن سنة ٢٩٨ وأكثر أئمة الزيدية الذين جاءوا بعده فملكوا اليمن من ذريته.

٦- وذكر الحافظ بن حجر: (أن بالبلاد اليمنية طائفة من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب لم تزل مملكة تلك البلاد معهم في أواخر المئة الثالثة وكبيرهم يقال له: الإمام ولا يتولى الإمامة منهم إلا من يكون متحرياً للعدل) [2].

٧- وقال عنه القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي: (ولقد كان الإمام الهادي مشهوراً بالقوة والشجاعة والورع والفقه ويعتمد فقهاء الزيدية باليمن على مؤلفاته العظيمة التي منها الأحكام والمنتخب والفنون، ولقد فرع العلماء على نصوصه الكثيرة كثيراً من مسائل الفقه وخرجوا منها التخاريج المبنية على القواعد الفقهية، ولقد انتشرت أقواله وفتاويه في اليمن انتشاراً عظيماً وبايعه جماهير أهل الجبال، واجتهادات هذا الإمام مستمدة من الكتاب والسنة وكثيراً ما كان يربطها بالدليل ومذهبه برئ من البدع الرديئة والمعتقدات الفاسدة)[3].

٨- وقال عنه الإمام محمد أبو زهرة: (عكف على الفقه يدرسه من كل نواحيه وفي كل مصادره، وقام هادياً مرشداً يدعو إلى الله سبحانه وإلى صراط

---

(١) الحدائق الوردية ص ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ج٢.

(٢) الإمام الهادي : ص ٩٤.

(٣) المقتطف من تاريخ اليمن.

مستقيم، وكان مرجعاً في الدين من كل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة يسألونه ويستفتونه وهو يرد عليهم برسائل قيمة أثرت عنه يدافع فيها عن القرآن والسنة، ويبين الحق الذي يرد زيغ الزائغين... وذهب إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ فوجد فيها أرضاً خصبة لآرائه فبذر فيها ذلك البذر الطيب النقي من الآراء الفقهية العميقة، ومن العقيدة الدينية القويمة الخالصة من كل وهم ومن كل زيغ، إن أعظم مقاصده إقامة حكم إسلامي وجمع المسلمين على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ‹صلى الله عليه وآله وسلم› وقد كان يسعى جهده لجمع شمل المسلمين وإصلاح أمورهم فيما بينهم) إلى أن يقول (ولم تكن شهرة الإمام الهادي بحكمه العادل فقط، بل كانت شهرته بعلمه وفقهه وفي الحق أن صورة حكمه تبين حكم العالم ينفذ آراءه العلمية في حكمه تنفيذاً دقيقاً وقد ترك الهادي كتباً في الفقه والحديث، منها كتاب الأحكام سلك فيه مسلك الإمام مالك في الموطأ يذكر الأحاديث والآثار ويذكر تخريجه لها واجتهاده حولها ويربط أكثر المسائل بالأدلة التي تقوم عليها)[1].

٩- قال عنه الإمام المؤيد بالله ‹عليه السلام›: (كنا نهاب نصوص يحيى كما نهاب نصوص القرآن) يعني في التأمل فيها والاستخراج منها[2].

١٠- وقال عنه الأديب العلامة الشهير أحمد بن محمد المطاع في كتابه تاريخ اليمن الإسلامي تحقيق عبدالله محمد الحبشي عند ذكره لسنة ٢٩٨هـ: فيها مات الإمام الهادي بصعدة يوم الأحد لعشر بقين في ذي الحجة من السنة المذكورة ودفن يوم الاثنين قبل الزوال بمسجده المشهور بصعدة ومولده بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٢٤٥ هـ وهو بلا شك أكبر مصلح ارتفع اسمه في أفق التاريخ

(١) الإمام زيد : ص ٥١٥ ، ٥٠٩.

(٢) مقدمة تحرير أبي طالب ص ١٠.

اليمني، ونال من الاحترام والحب في قلوب اليمنيين مكانة لم يتبوأها أحد بحيث أصبحت آثاره وأعماله وصفاته العالية قبلة الأبصار ومهوى الأفئدة وقد مر بك آثاره العلمية فإنه بمكانة عليا من العلم والفضل والورع، ومكارم الأخلاق والحلم والتواضع كثير الصفح والتجاوز عن سيئات الناس وهفواتهم إلى أن يقول: وكان شجاعا مقداما ثابت الجأش ماضي العزيمة.

يباشر في الحرب المنايا ولا يرى لمن لم يباشرها من الموت مهربا

١١- وقال عنه الإمام المنصور بالله: (وقول يحيى بن الحسين ينقض بقوله لا بقول غيره إذ لا سلطان للغير عليه ولا سبيل إليه)[١].

١٢- وقال عنه عبدالله عبدالوهاب الشماحي - في كتابه " اليمن الإنسان والحضارة": "كان مثلاً لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه مترفعاً عن الأهواء وسفاسف الأمور وعن المتع، شجاعاً في المعارك والأهوال وفي تطبيق ما يؤمن به ويدعوا إليه معتدلاً حتى مع أعاديه".

وختاماً

كان الإمام الهادي ‹عليه السلام› شخصية قيادية من الدرجة الأولى ومن الرجال العظماء الذين يتركون أثرهم على التاريخ، وهو بما توافر له من السمات الهامة المكونة للشخصية القيادية والعوامل والمؤثرات الأسرية والثقافية التي تعاورت على بناء شخصيته كان لابد أن يكون قائداً لأنه خلق ليكون كذلك، لأن القيادة طاقة يمتلك الهادي مخزوناً ضخماً- منها، وقدرة أن يصرفها، وقد تساعده الظروف وقد لا تساعده وفي هذا تتفاوت خطوط عظماء التاريخ[٢].

---

(١) الأحكام ج٢ ص ١٤.

(٢) من بحث للأستاذ عبد الملك العجري.

تلك كانت صورة موجزة من سيرته ‹رحمه الله› فقد عاش حياته كلها شديد الوفاء لشعاره الذي أعلن «**والله ماهي إلا سيرة محمد أو النار**» حتى لقي الله وليس في بيته درهم ولا دينار.

ولقد قبضه الله إليه بعد جهاد مرير مع أعداء الله وفي رجله أثر جراحه انبعثت منها الرائحة التي خص الله بها الشهداء ولا تزال تلك الرائحة الزكية يفوح عبيرها إلى وقتنا الحاضر إكراماً منه سبحانه وتعالى لذلك الإمام المجاهد الصابر وكانت وفاته ‹عليه السلام› في العشرين من ذي الحجة سنة ٢٩٨ للهجرة بعد عمر حافل بالجهاد والدعوة إلى الله حيث لم يترك ناحية من نواحي الجهاد إلا وسار فيها.

ومشهده ‹عليه السلام› في جانب المسجد الجامع بصعدة، ومسجده ‹عليه السلام› اليوم في صعدة من أشهر المعالم الدينية في اليمن، وقبره بجواره مشهور مزور.

بلدي وأرض أحبتي يا حادي
غرست محبتها بجوف فؤادي
فاقت محاسنها البلاد وزاد من
أفضالها قبر الإمام الهادي

وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين

●●●

المحتويات

المقدمة ٣

علاقة أهل اليمن بأهل بيت النبوة ٥

حاجتنا إلى العودة إلى مدرسة أهل البيت ‹عليهم السلام› ٦

الإمام الهادي ‹عليه السلام› قائداً وهادياً ٧

الإمام الهادي ‹عليه السلام› كان امتداداً لحمل المشروع الالهي ٨

المشروع القرآني للسيد حسين رضوان الله عليه وعلاقته بالإمام الهادي ‹عليه السلام› ٩

فمن هو الإمام الهادي ‹عليه السلام› ؟ ١٥

ولادته ونشأته ‹عليه السلام›: ١٥

مما ورد في عظيم قدره ‹عليه السلام›: ١٥

بعض صفاته ‹عليه السلام› ١٦

قوته وبأسه وشجاعته: ١٦

سعة علمه: ١٨

تواضعه : ٢١

عبادته: ٢١

حبه للجهاد والتضحية: ٢٢

في ميدان الجهاد: ٢٣

الحفاظ على الهيبة: ٢٤

خروج الإمام الهادي ‹عليه السلام› إلى اليمن ٢٥

الخروج الثاني ٢٩

الأهداف المقدسة التي تضمنتها بنود البيعة ٣٠

المواجهة مع القرامطة الأشرار ٣٣

السلطة مسؤولية وليست غنيمة ٣٥

الاهتمام بالفقراء والتفقد لأحوال الناس: ٣٥

التفقد للسجون: ٣٧

صور من حكمه العادل ٣٧

قربه ‹عليه السلام› من الناس ٤٠

من صور التسامح التي عرف بها الإمام الهادي ‹عليه السلام› ٤٢

كراهته ‹عليه السلام› للظلم والظالمين ٤٣
مقتطفات من منهجيته ‹عليه السلام› ٤٨
١ـ كيف هي سنة الله في اختيار أعلام الهدى؟ ٤٨
ماذا يقول الإمام الهادي ‹عليه السلام› حول هذه السنة الإلهية؟ ٤٨
إلى أن يقول: ٥٠
٢ـ هل هناك خلاف بين أعلام أهل البيت ‹عليه السلام›؟ ٥٣
سبب الخلاف الحاصل بين علماء أهل البيت ‹عليهم السلام› ٥٤
مقتطفات من كلامه ‹عليه السلام› ٥٨
من شعره ‹عليه السلام› ٥٩
من أقوال العلماء واعترافاتهم بمكانته
وثناؤهم عليه ٦١
وختاماً ٦٤

●●●

تم بحمد الله

عودوا - أيها الإخوة - إلى تاريخ أهل البيت، ادرسوه دراسة حقيقية واقعية حتى تجدوا أنه ليس هناك مكان لتلك المقولة: بأنهم كانوا إنما يثورون من أجل أن يصلوا إلى السلطة، وأنهم كانوا عشاق سلطة. هم عشاق حق، هم من قال لهم جدهم-وهو يوصي الحسن- ((وخض الغمرات للحق حيث كان)) خض غمرات الموت من أجل الحق حيث كان. هذه هي طريقتهم.

السيد حسين بدر الدين الحوثي